المعين لتوضيح معاني

أثر ابن سيرين

إن هذا العلم دين

إعداد

فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر بن سالم بازمول

الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى

دار الاستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) (آل عمران:١٠٢).

(٢) (النساء:١).

(٣) (الأحزاب:٧٠-٧١).

أما بعد:

فهذه رسالة في شرح قول الإمام الرباني محمد بن سيرين الأنصاري: «إِنَّ هَذَا العِلمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّن تَأْخُذُونَ دِينَكُم».

وهي مقولة مشهورة، اعتبرها أهل العلم من أهم قواعد طلب العلم، بل من أهم قواعد الدين الإسلامي؛ لبيانها التمييز بين من يؤخذ منه العلم، ومن لا يؤخذ منه العلم.

ولما كان هذا الأثر بهذه المنزلة العظيمة عند أهل العلم؛ شرعت في شرحه وبيانه، بذكر الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف ومن تبعهم بإحسان علىٰ ما تضمنه من المعاني والحكم.

تسمية الرسالة:

وقد سميت هذه الرسالة بـ:

«المعين لتوضيح معاني أثر الإمام ابن سيرين: إن هذا العلم الدين»(١)

---

(١) وهي مختصرة من شرحي الكبير علىٰ هذا الأثر، اختصرتها لتعم بها الفائدة، خاصة لعموم الناس الذين ابتلوا في هذه الأيام بمتابعة كل من ظهر عبر وسائل الإعلام سواء مسموعًا أو مرئيًّا أو مقروءًا، دون تمييز بين من هو أهلٌ لأخذ العلم منه، ومن لا يجوز أخذ العلم منه؛ مخالفين في ذلك منهج السلف في تلقي العلم من أهله الموثوق بعلمهم ودينهم.
فأسأل الله أن ينتفعوا بها.

وجعلت الرسالة في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مقاصد، وخاتمة، وفهارس فنية:

فأذكر في المقدمة: خطبة الحاجة، وسبب تأليف الرسالة، وتسمية الرسالة، والخطة التي سرت عليها في الرسالة.

وأذكر في التمهيد: أهمية الموضوع، وترجمة الإمام ابن سيرين.

المقصد الأول: تخريج الأثر، وذكر من نقل عنه نحو قوله.

المقصد الثاني: الدليل من الكتاب والسنة على معنى الأثر.

المقصد الثالث: ما تضمنه قول الإمام ابن سيرين من المعاني والفوائد:

أ- تعريف العلم، وبيان المقصود من العلم وحكم تعلمه.

ب- حرمة الكلام في مسائل العلم إلا بالحجة والبرهان.

ج- القول على الله بلا علم، وقول لا أعلم.

د- وجوب الاختيار والانتقاء للمشايخ الذين يتلقى عنهم العلم.

هـ- التمييز بين المتصدرين للعلم.

و- من هم العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم.

ز- من الذين لا يؤخذ منهم العلم.

ح- يستوي في تحريم أخذ العلم منهم: السماع والحضور والقراءة والصحبة وأي نوع من أنواع التلقي والخلطة.

المقصد الرابع: شبهات وردود.

وأذكر في الخاتمة: أهم المقاصد التي اشتملت عليها الرسالة.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، وينفعني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتىٰ الله بقلب سليم، وأن يرزقني القبول في الدارين؛ إنه قريب سميع الدعاء.

وكتبه
د/ أبو عمر
أحمد بن عمر بن سالم بازمول
الأستاذ المساعد بجامعة أم القرىٰ
مكة المكرمة
ص ب: (٢٧١٥)

تمهيد:
(أهمية الموضوع)

تظهر أهمية الموضوع في الأمور التالية:

الأمر الأول: أن الله ﷻ قد أمرنا بالتفقه في الدين، ومعرفة أحكامه التي نحتاج إليها في يومنا وليلتنا، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

قال الشيخ السعدي: «أي: ليتعلموا العلم الشرعي ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم»[2].

ومما أمرنا الله ﷻ به: سؤال أهل العلم؛ حيث قال ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

ففي هذه الآية أمرنا الله ﷻ بسؤال أهل العلم دون غيرهم.

قال الشيخ السعدي: «هذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين

---

(١) (التوبة:١٢٢).

(٢) تيسير الكريم المنان (٣٥٥).

(٣) (النحل:٤٣)، و(الأنبياء:٧).

أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه.

وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدىٰ لذلك»[١].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُم لَن يَزَالَ بِخَيرٍ ما اتَّقَىٰ اللهَ، وإذا شَكَّ في نَفسِهِ شَيءٌ سَأَلَ رَجُلًا [عالمًا] فَشَفَاهُ منه، وَأَوشَكَ ألا تَجِدُوهُ»[٢].

قال ابن عبد البر: «يلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئًا من دينه أن يسأل عنه»[٣].

والعجب من بعض الناس: أنه إذا احتاج إلىٰ أمر من أمور الدنيا سأل عن أفضل الناس معرفة بذلك الشيء، ولم يرضَ بقول أي أحد، وإذا أخبر عن أكثر من واحد يتقن معرفة هذا الشيء سأل عن أفضلهم وأحسنهم فقدمه وعمل بقوله!

وأما في أمر من أمور الدين وشرع الله لم يبالِ عمن أخذ ومن سأل، ويعمل بقول أي أحد! وبعضهم لا يسأل أحدًا أصلًا، ولا شك أن هذا خطأ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥١٩).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٠٨٢رقم٢٨٠٣).

وزيادة: «عالمًا» أخرجها البغوي في مسند ابن الجعد (٣٨٠رقم٢٥٩٨).

(٣) التمهيد (٨/ ٣٣٨).

عظيم تنتج عنه الفتنة والضلال في الدين.

قال ابن رجب: «يا لله العجب، لو ادعىٰ رجل معرفة صناعة من صنائع الدنيا -ولم يعرفه الناس بها، ولا شاهدوا عنده آلاتها- لكذبوه في دعواه، ولم يأمنوه علىٰ أموالهم، ولم يمكنوه أن يعمل فيها ما يدعيه من تلك الصناعة.

فكيف بمن يدعي معرفة أمر الرسول ﷺ، وما شوهد قط يكتب علم الرسول ﷺ، ولا يجالس أهله، ولا يدارسه؟

فلله العجب كيف يقبل أهل العقل دعواه، ويحكمونه في أديانهم، يفسدها بدعواه الكاذبة؟»[١].

وحذرنا النبي ﷺ من أهل الأهواء والبدع؛ فعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٢].

قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ؛ فَاحذَرُوهُم»[٣].

---

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة (٤٠).

(٢) (آل عمران:٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٤/ ١٦٥٥رقم٤٢٧٣) ومسلم في الصحيح (٤/ ٢٠٥٣رقم ٢٦٦٥).

قال النووي: «فِي هَذَا الحَدِيث التَّحذِير مِن مُخَالَطَة أَهل الزَّيغ، وَأَهل البِدَع، وَمَن يَتَّبع المُشكِلَات لِلفِتنَةِ، فَلَا يُجَاب، بَل يُزجَر، وَيُعَزَّر»[(١)].

الأمر الثاني: لبقاء العلم غضًا يتلقىٰ من أهله، ومنابعه الأصيلة، فتأخذه كل جماعة عن أهل العلم ورثة الأنبياء، فلو لم يؤخذ عن العلماء لضاع العلم.

قال أبو الدَّردَاءِ: «ما لي أَرَىٰ عُلَمَاءَكُم يَذهَبُونَ، وَجُهَّالَكُم لَا يَتَعَلَّمُونَ! فَتَعَلَّمُوا قبل أن يُرفَعَ العِلمُ؛ فإن رَفعَ العِلم ذَهَابُ العُلَمَاءِ»[(٢)].

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: «إن العلماء إذا أدركهم المتعلمون فني العلماء، وبقي العلم غضًا عند المعلمين، فإذا لم يدركهم المتعلمون ذهب العلم»[(٣)].

الأمر الثالث: أن العلم إذا لم يؤخذ من أهله رفع من الأرض؛ لأن العلماء ببقائهم بقاء العلم، فإذا لم يؤخذ العلم منهم، وماتوا قبض العلم، ولا ينفع بقاء الكتب.

عن عَبد اللهِ بن عَمرِو بنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِن النَّاسِ، وَلَكِن يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَم يَترُك عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفتَوا**

---

(١) شرح مسلم (١٦/ ٢١٨).

(٢) أخرجه وكيع في الزهد (٣/ ٨٣٦رقم٥٢٠) وأبو داود في الزهد (٢٠٧رقم٢٣٤).

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٣٧٦رقم٦٤٤).

بِغَيرِ عِلمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١).

وقال ابن عباس: هل تَدرُونَ ما ذَهَابُ العِلمِ؟

قُلنَا: لَا.

قال: ذَهَابُ العُلَمَاءِ(٢).

ووجه كون العلم يقبض بقبض العلماء: أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، والعلماء يخلفون النبي ﷺ في بيان الحق لأنهم ورثة الأنبياء، فإذا قبض العلماء وبقيَ الناس بلا عالم، فمن يبين لهم دينهم؟ والأمم السابقة كانت أنبياؤهم تسوسهم نبي يخلف نبيًّا(٣).

الأمر الرابع: أن بقبض العلم يظهر الجهل والفتن والقتل.

فعن أبي هُرَيرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**يُقبَضُ العِلمُ وَيَظهَرُ الجَهلُ وَالفِتَنُ وَيَكثُرُ الهَرجُ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الهَرجُ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا كَأَنَّه يُرِيدُ القَتلَ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٥٠رقم١٠٠)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢٠٥٨رقم ٢٦٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٢٣)، وأبو خيثمة في العلم (١٦رقم٥٣).

(٣) أخرج البخاري في الصحيح (٣/ ١٢٧٣رقم٣٢٦٨)، ومسلم في الصحيح (٣/ ١٤٧١رقم ١٨٤٢) من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كانت بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فتكثر قالوا فما تَأمُرُنَا قال فُوا بِبَيعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ وَأَعطُوهُم حَقَّهُم فإن اللهَ سَائِلُهُم عَمَّا استَرعَاهُم».

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٤٤رقم٨٥)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢٠٥٧رقم١٥٧).

وسأل هلال بن خباب أبو العلاء سعيد بن جبير: ما علامة الساعة وهلاك الناس؟ فقال: «إذا ذهب علماؤهم»[(١)].

الأمر الخامس: أن الناس محتاجون للعلم أكثر من حاجتهم للطعام والشراب.

قال الثوري: «الرجل إلىٰ العلم أحوج منه إلىٰ الخبز واللحم»[(٢)].

وقال الإمام أحمد: «الناس أحوج إلىٰ العلم منهم الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثًا، والعلم يحتاج إليه في كل وقت»[(٣)].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: سألت أبي عن الرجل: يجب عليه طلب العلم؟ فقال: «إي ما يقيم به الصلاة وأمر دينه من الصوم والزكاة وذكر شرائع الإسلام.

وقال: ينبغي له أن يتعلم ذلك»[(٤)].

الأمر السادس: أن من لا يؤخذ منهم العلم قطاع طريق لوصول الأجر إلىٰ النبي ﷺ.

قال ابن قيم الجوزية: «من دعا الأمة إلىٰ غير سنة رسول الله فهو عدوه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٥٨رقم٣٧٢٠٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٦٥)، والهروي في ذم الكلام (٥/ ١٧٣رقم١٤٨٣).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٢٥٧).

(٤) المسائل (٤٣٩رقم١٥٨٩).

حقًّا؛ لأنه قطع وصول أجر من اهتدىٰ بسنته إليه، وهذا من أعظم معاداته نعوذ بالله من الخذلان»[١].

الأمر السابع: أن الخطأ في العلم يتسبب عنه ضرر كبير جدًّا ومفسدة بالغة.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «سألت أبي عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة فيها قول رسول الله واختلاف الصحابة والتابعين، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ولا بالإسناد القوي من الضعيف، فيجوز له أن يعمل بما شاء ويتخير ما أحب منها يفتي به ويعمل به؟ قال: لا يعمل حتىٰ يسأل ما يؤخذ به منها، فيكون يعمل علىٰ أمر صحيح يسأل عن ذلك أهل العلم»[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُسَلَّمٌ أنه لا يسوغ استماع كل قول»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الغلط في أمور الدين، والغلط في العلم الشرعي ليس كالغلط في الأمور الأخرىٰ، وإن كان الغلط في كل شيء مرفوض ومصيبة، ولكن الغلط في أمور الشرع وفي أمور الدين يترتب عليه ضرر عظيم بالنسبة للأمة»[٤].

الأمر الثامن: إذا لم يتميز من يؤخذ عنه العلم ومن لا يؤخذ عنه العلم

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥١).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٩٤).

(٣) الاستغاثة في الرد علىٰ البكري (٢/ ٥٨٨-٥٨٩).

(٤) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٤٥٩) لسليمان أبا الخيل.

غابت المرجعية الصحيحة التي يتلقىٰ عنها العلم؛ فعامة الناس لا يميزون بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، فإذا رجعوا إلىٰ غير أهل العلم أفتوهم بلا علم، فضلوا وأضلوا.

قال ابن سِيرِينَ: «لَم يَكُونُوا يَسأَلُونَ عَن الإِسنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَت الفِتنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُم؛ فَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ السُّنَّةِ فَيُؤخَذُ حَدِيثُهُم، وَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ البِدَعِ فَلَا يُؤخَذُ حَدِيثُهُم»(١).

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٥).

ترجمة الإمام
محمد بن سيرين البصري

اسمه وكنيته ونسبه:

محمد بن سيرين مولىٰ أنس بن مالك الأنصاري البصري.

كنيته: أبو بكر.

كان أبو محمد من سبي عين التمر أسره خالد بن الوليد في جملة السبي فاشتراه أنس، ثم كاتبه، ثم ولد له من الأولاد الأخيار جماعة: محمد هذا، وأنس بن سيرين، ومعبد، ويحيىٰ، وحفصة، وكريمة، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء -رحمهم الله-.

وأصل سيرين من جرجرايا.

مولده:

قال أنس بن سيرين: «ولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عثمان».

شيوخه وتلاميذه:

روىٰ عن: أبي هريرة، وعمران بن حصين، وابن عمر، وأنس بن مالك،

وعدي بن حاتم، وابن الزبير.

وروىٰ عنه: الشعبي، وقتادة، وأيوب السختياني، ويونس بن عبيد، وابن عون، وسليمان التيمي، وخالد الحذاء، وعوف، وداود بن أبي هند.

ثناء العلماء عليه:

قال ابن عون: «كان بصر محمد بالعلم كبصر التاجر الأريب بتجارته».

وقال هشام بن حسان: «أصدق من رأيت من البشر محمد بن سيرين».

وقال عوف: «كان محمد حسن العلم بالتجارة، حسن العلم بالقضاء، حسن العلم بالفرائض».

وقال مورق العجلي: «ما رأيت رجلًا أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد».

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: «محمد بن سيرين من الثقات».

وقال يحيىٰ بن معين: «محمد بن سيرين: ثقة».

وقال ابن سعد: «كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا كثير العلم ورعًا، وكان به صمم».

وقال ابن حبان: «كان محمد بن سيرين من أورع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبادهم، وكان فقيهًا فاضلًا حافظًا متقنًا، وكان يعبر الرؤيا، رأىٰ ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ».

وقال الخطيب: «كان محمد أحد الفقهاء من أهل البصرة والمذكورين بالورع في وقته، وقدم المدائن».

وقال الذهبي: «محمد بن سيرين الإمام الرباني، وكان فقيهًا إمامًا غزير العلم ثقة ثبتًا علامة في التعبير، رأسًا في الورع».

وقال أيضًا: «أحد الأعلام، ثقة حجة، كبير العلم، ورع، بعيد الصيت».

وقال الحافظ ابن حجر: «ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرىٰ الرواية بالمعنىٰ».

وفاته:

توفي -رحمه الله تعالىٰ- بالبصرة يوم الجمعة لتسعٍ مضين من شوال سنة عشر ومائة، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وممن غسله أيوب وابن عون، وصلىٰ عليه النضر ابن عمرو المقرئ الشامي[1].

وكان موته بعد الحسن البصري بمائة يوم، وكان الحسن قد توفي -رحمه الله تعالىٰ- في أول يوم من رجب من عام عشر ومائة.

من أقوال الإمام ابن سيرين:

قال محمد بن سيرين: «كانوا يرونه علىٰ الطريق مادام علىٰ الأثر»[2].

---

(١) انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٠) لابن أبي حاتم، الطبقات (٧/ ١٩٣) لابن سعد، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٧) للفسوي، الثقات (٥/ ٣٤٩) لابن حبان، تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٣٧) للخطيب، والمنتظم (٧/ ١٤٠) لابن الجوزي، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٧) للذهبي، التقريب (٨٥٣ رقم ٥٩٨٥) للحافظ.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٦٦رقم١٤٠، ١٤١)، والخلال في السنة (١/ ١٢٣رقم ١١٠٢).

وقال محمد بن سيرين: «لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء»[(١)].

وقال شعيب بن الحبحاب: قلت لابن سيرين: ما ترىٰ في السماع من أهل الأهواء؟ قال: «لا نسمع منهم ولا كرامة»[(٢)].

وقال ابن عون: «كان ابن سيرين لا يرىٰ لأصحاب الأهواء حرمة»[(٣)].

وكان محمد بن سيرين يحدثه الرجل فلا يقبل عليه، ويقول: ما أتهمك، ولا الذي يحدثك، ولكن من بينكما أتهمه[(٤)].

وقال عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار: لَمَّا حُبِس ابن سيرين في السجن[(٥)] قال له السجان: إذا كان الليل فاذهب إلىٰ أهلك، فإذا أصبحت فتعال. فقال ابن سيرين: «لا والله لا أعينك علىٰ خيانة السلطان»[(٦)].

* * *

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣١رقم٢٣٥).

(٢) أخرجه الدولابي في الكنىٰ والأسماء (٢/ ٧٥٧رقم١٣١٠)، وابن بشران في الأمالي (١/ ١٤٤رقم٣٢٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١١) للذهبي.

(٤) أخرجه أحمد في العلل ومعرفة الرجال (١/ ١٥٥رقم٦٥-عبد الله).

(٥) كان حبس ابن سيرين في سبب دين ركبه لبعض الغرباء. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٤) للخطيب.

(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٤).

المقصد الأول: تخريج الأثر، وذكر من نقل عنه نحو قوله

أجمع أهل العلم علىٰ عدالة جميع الصحابة؛ فلا يُسأل عن أحد منهم، فهم العدول الأمناء.

وأما التابعون فمن بعدهم فينظر فيهم كما قال الإمام ابن سِيرِينَ: «لَم يَكُونُوا يَسأَلُونَ عَنِ الإِسنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَت الفِتنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُم؛ فَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ السُّنَّةِ فَيُؤخَذُ حَدِيثُهُم، وَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ البِدَعِ فَلَا يُؤخَذُ حَدِيثُهُم»(١).

ويعتبر الإمام محمد بن سيرين -رحمه الله تعالىٰ- من أوائل من فتش الأسانيد، وميز الرواة.

قال ابن رجب: «ابن سيرين هو أول من انتقد الرجال وميز الثقات من غيرهم، وقد روي عنه من غير وجه أنه قال: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم).

وفي رواية عنه أنه قال: (إن هذا الحديث دين، فلينظر الرجل عمن يأخذ

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٦).

دينه)[1].

قال يعقوب بن شيبة: قلت ليحيىٰ بن معين: تعرف أحدًا من التابعين كان ينتقي الرجال كما كان ابن سيرين ينتقيهم؟ فقال -برأسه-؛ أي: لا.

قال يعقوب: وسمعت علي بن المديني يقول: كان ممن ينظر في الحديث ويفتش عن الإسناد، ولا نعرف أحدًا أول منه»[2].

وهذا الأثر جاء مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ، وجاء موقوفًا من قول بعض الصحابة، وجاء مقطوعًا عن بعض التابعين فمن بعدهم.

فممن جاء عنه مرفوعًا:

*** عبد الله بن عمر رضي الله عنه:**

عن ابن عمر مرفوعًا: «يا ابن عمر دينك، دينك! إنما هو لحمك ودمك، وانظر عمن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا»[3].

*** أنس بن مالك رضي الله عنه:**

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا العلم دين؛ فلينظر أحدكم

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (٣٥٥رقم٤١٧).

(٢) شرح العلل (١/ ٣٥٥).

(٣) **لا يصح:** أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٤٩).

وضعفه ابن الجوزي وابن رجب في شرح العلل (١/ ٣٦٢)، والسخاوي في فتح المغيث (١/ ٣٢٧).

ممن يأخذ دينه»[١].

*** ابن عباس رضي الله عنه:**

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لا تأخذوا العلم إلا عمن تجوز شهادته»[٢].

وممن جاء عنه موقوفًا[٣]:

*** أبو هريرة رضي الله عنه:**

قال أبو هريرة: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذونه»[٤].

*** ابن عباس رضي الله عنه:**

قال ابن عباس: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[٥].

---

(١) **لا يصح**: أخرجه ابن عدي في الكامل (١/١٤٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٣١ رقم١٨٨).

والحديث ضعفه ابن الجوزي. وقال محمد بن طاهر في ذخيرة الحفاظ (٢/ ٩٨٢): «ضعيف جدًّا».

(٢) **باطل**: أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥٢)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٠).

قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٧/ ٩١رقم٣٠٩٠) وقال: «باطل».

(٣) قال ابن طاهر في ذخيرة الحفاظ (٢/ ٩٨٣-٩٨٤): «صح هذا الكلام لمحمد بن سيرين وغيره من التابعين، وقد يروىٰ هذا من كلام علي بن أبي طالب وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم. والصحيح قول ابن سيرين، وإنما سرقوه وجعلوا له طرقًا إلىٰ هؤلاء الصحابة».

(٤) **ضعيف جدًّا**: أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٧)، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٠).

(٥) **لا يصح**: أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥٢).

*** أنس بن مالك رضي الله عنه :**

قال شعيب: غدوت إلىٰ أنس بن مالك فقال: يا شعيب ما غدا بك؟ فقلت: يا أبا حمزة غدوت لا تعلم منك وألتمس ما ينفعني. فقال: «يا شعيب إن هذا العلم دين فانظر ممن تأخذه»(١).

*** علي بن أبي طالب رضي الله عنه :**

قال علي بن أبىٰ طالب رضي الله عنه: «انظروا عمن تأخذون هذا العلم؛ فإنما هو الدين»(٢).

وممن جاء عنه مقطوعًا :

*** الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري (ت١١٠هـ) :**

قال الحسن: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه»(٣).

*** أنس بن سيرين (ت ١١٨هـ) :**

قال حماد بن زيد: دخلنا علىٰ أنس بن سيرين في مرضه فقال: «اتقوا الله يا معشر الشباب وانظروا عمن تأخذون هذه الأحاديث؛ فإنها دينكم»(٤).

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٤٥)، وإسناده لا يصح.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٤٩) والخطيب في الكفاية (١٢١)، وإسناده ضعيف جدًّا .

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٨)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٥) وفي إسناده من لم يتبين لي من هو .

*** مكحول أبو عبد الله الشامي الدمشقي (ت بضع عشرة ومائة هـ):**

قال مكحول: «لا يؤخذ العلم إلا عمن شهد له بالطلب»(١).

*** الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي (مات بعد المائة):**

قال الضحاك بن مزاحم: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه»(٢).

*** عبد الله بن ذكوان أبو الزناد القرشي (ت ١٣٠هـ):**

قال أبو الزِّنَادِ: «أَدرَكتُ بِالمَدِينَةِ مِائَةً كُلُّهُم مَأمُونٌ مَا يُؤخَذُ عَنهُم الحَدِيثُ يُقَالُ لَيسَ مِن أَهلِهِ»(٣).

*** القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر المدني (ت في حدود ١٣٠هـ):**

قال أبو عَقِيلٍ: قَالَ: «كُنتُ جَالِسًا عِندَ القَاسِمِ بنِ عُبَيدِ اللهِ وَيَحيَىٰ بنِ سَعِيدٍ فَقَالَ يَحيَىٰ لِلقَاسِمِ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّهُ قَبِيحٌ عَلَىٰ مِثلِكَ عَظِيمٌ أَن تُسأَلَ عَن شَيءٍ مِن أَمرِ هَذَا الدِّينِ فَلَا يُوجَدَ عِندَكَ مِنهُ عِلمٌ وَلَا مَخرَجٌ!

فَقَالَ لَهُ القَاسِمُ: وَعَمَّ ذَاكَ؟

قَالَ: لِأَنَّكَ ابنُ إِمَامَي هُدًىٰ ابنُ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ.

قَالَ: يَقُولُ لَهُ القَاسِمُ: أَقبَحُ مِن ذَاكَ عِندَ مَن عَقَلَ عَنِ اللهِ أَن أَقُولَ بِغَيرِ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٩)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٥)، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥١).

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٥).

عِلمٍ أَو آخُذَ عَن غَيرِ ثِقَةٍ.

قَالَ: فَسَكَتَ فَمَا أَجَابَهُ»[١].

*** زيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبد الله المدني (ت١٣٦هـ):**

قال زيد بن أسلم: «إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم»[٢].

*** عبد الله بن عَون أبو عون البصري (ت١٥٠هـ):**

قال ابن عون: «إن هذا العلم دين؛ فانظر عمن تأخذ دينك»[٣].

وقال ابن عون: «لا يؤخذ هذا العلم إلا ممن شهد له بالطلب»[٤].

*** عبد الرحمن بن يزيد أبو عتبة الشامي (ت بضع وخمسون بعد المائة):**

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: «لا يؤخذ العلم إلا عمن شهد له بالطلب.

قال أبو زرعة: فسمعت أبا مسهر يقول: إلا جليس العالم فإن ذلك طلبه»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٧).

(٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٧٨)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٨)، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣).

(٥) أخرجه أبو زرعة في التاريخ (١/ ٣٨٠رقم٨٣٥-٨٣٦)، وإسناده صحيح.

قال الخطيب في الكفاية (٨٧): «أراد أبو مسهر بهذا القول: أن من عرفت مجالسته للعلماء وأخذه عنهم أغنىٰ ظهور ذلك من أمره أن يسأل عن حاله، والله أعلم».

*** عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي (ت١٥٧هـ):**

قال الأوزاعي: «خذ دينك عمن تثق به، وترضىٰ به»(١).

قال الأوزاعي: «اعلموا أن هذا العلم دين، فانظروا ما تصنعون، وعمن تأخذون، وبمن تقتدون، ومن علىٰ دينكم تأمنون»(٢).

*** زائدة بن قدامة أبو الصلت الكوفي (ت ١٦٠هـ):**

قال زائدة: «إن هذا العلم دين، فانظروا من تودعونه»(٣).

*** عقبة بن نافع القرشي الفهري (ت ١٦٣هـ):**

وكان عقبة بن نافع يوصي بنيه: «انظروا عمن تأخذون منه؛ فإنه دين»(٤).

وكان يوصي بنيه بقوله: «يا بني لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة»(٥).

*** مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ):**

قال مالك بن أنس: «إن هذا العلم هو لحمك ودمك، وعنه تسأل يوم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٩)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٣٦١)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤١٦).

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٢٤).

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٤٥)

القيامة؛ فانظر عمن تأخذه»[١].

أرسل مالك بن أنس إلىٰ محمد بن مطرف: «سلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أوصيك بتقوىٰ الله...

ثم أخذه -يعنىٰ العلم- من أهله الذين ورثوه ممن كان قبلهم يقينًا بذلك ولا تأخذ كلما تسمع قائلًا يقوله؛ فإنه ليس ينبغي أن يؤخذ من كل محدث ولا من كل من قال، وقد كان بعض من يرضىٰ من أهل العلم يقول: إن هذا الأمر دينكم فانظروا عمن تأخذون عنه دينكم»[٢].

وقال خالد بن خِدَاش: ودعت مالك بن أنس فقلت: أوصني يا أبا عبد الله؟ قال: «تقوىٰ الله، وطلب العلم من عند أهله»[٣].

وقال مالك بن أنس: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين وأشار إلىٰ مسجد الرسول ﷺ يقولون قال رسول الله ﷺ فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو اؤتمن علىٰ بيت مال لكان به أمينًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدم علينا محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب وهو شاب فنزدحم علىٰ بابه»[٤].

---

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤١٦)، وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥١)، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أبو زرعة في التاريخ (١/ ٤٠٢رقم٩٢٣)، وابن عدي في الكامل (١/ ٩٠) وإسناده حسن.

(٤) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ (٩٩رقم٣٧)، والخطيب في الكفاية (١٥٩)، والأثر صحيح لغيره.

※ إبراهيم بن يزيد أبو عمران النخعي (ت ١٩٦هـ):

قال إبراهيم: «إن هذه العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١].

قال إبراهيم: «كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلىٰ صلاته وإلىٰ هيئته وإلىٰ سمته»[٢].

※ ※ ※

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٨)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ١٢٤رقم٤٢٠)، وإسناده ضعيف.

المقصد الثاني: الدليل من الكتاب والسنة على معنى الأثر

القاعدة المستمرة عند الأئمة السابقين من سلف هذه الأمة، وما جرت عليه عادتهم: أنهم يتبعون الدليل ويقتفونه فيكتفون به، ولا يبتدعون من تلقاء أنفسهم أو يضعون أصولًا من عقولهم؛ لأنهم كفوا المؤنة، فدين الله كامل ليس بحاجة إلىٰ زيادة ولا إلىٰ نقصان.

قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس من عمل يقرب إلىٰ الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلىٰ النار إلا قد نهيتكم عنه**»[2].

وقال أبو ذرٍّ: «تَرَكنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وما طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيهِ في الهَوَاءِ إلا وهو يُذَكِّرُنَا منه عِلمًا»[3].

---

(١) (المائدة:٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥)، والحديث حسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٦٧).

(٣) أخرجه البزار في المسند (٩/ ٣٤١رقم٣٨٩٧).

وقال ابن مسعود: «اتَّبِعُوا وَلا تَبتَدِعُوا؛ فَقَد كُفِيتُم، وكُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»[(١)].

وقال الثوري: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل»[(٢)].

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: «يا أبا الحسن! إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»[(٣)].

وقول الإمام مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ: «**إِنَّ هَذَا العِلمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّن تَأخُذُونَ دِينكُم**»، إذا تأملناه نجده مأخوذًا من نصوص متعددة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

فقوله: (العلم دين):

فيدل عليه قوله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[(٤)].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[(٥)].

فسمَّىٰ الله ما بعث به رسولهﷺ من الهدىٰ والعلم النافع دينًا.

ويدل عليه: ما رواه أبو مُوسَىٰ عن النبيﷺ قال: «**إِنَّ مَثَلَ ما بَعَثَنِي الله ﷻ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلمِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرضًا، فَكَانَت منها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ**

---

(١) أخرجه وكيع في الزهد (٢/ ٥٩٠رقم٣١٥)، وأبو خيثمة في العلم (١٦رقم٥٤)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٤٢رقم١٧٤).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (١٧٨).

(٤) (المائدة:٣).

(٥) (آل عمران:١٩).

قَبِلَت المَاءَ فَأَنبَتَت الكَلأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ، وكان منها أَجَادِبُ أَمسَكَت المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا منها وَسَقَوا وَرَعَوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً منها أُخرَىٰ إنما هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً ولا تُنبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ من لم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا ولم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الذي أُرسِلتُ بِهِ»[1].

وما رواه أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولا دِرهَمًا وَرَّثُوا العِلمَ؛ فَمَن أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[2].

قال ابن حبان: «العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته؛ فمن تعرىٰ عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء»[3].

وأما قوله: (فانظروا عمن تأخذون دينكم):

فيدل عليه ما روته عائشة ﵂ بقولها: «تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٤٢رقم٧٩)، ومسلم في الصحيح (٤/ ١٧٨٧رقم٢٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، وأبو داود في السنن (٣/ ٣١٧رقم٣٦٤١، ٣٦٤٢)، والترمذي في السنن (٥/ ٤٨رقم٢٦٨٢)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (رقم٢٦٨٢).

(٣) الصحيح (١/ ٢٩٠).

﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[(١)].

قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ؛ فَاحذَرُوهُم**»[(٢)].

ففي هذه الآية مع الحديث وجوب الحذر من أَهل الزَّيغ، وَأَهل البِدَع، وَمَن يَتَّبع المُشكِلَات لِلفِتنَةِ[(٣)].

قال أيوب: «لا أعلم اليوم أحدًا من أهل الأهواء يخاصم إلا بالمتشابه»[(٤)].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٥)].

فأمرنا الله ﷻ بسؤال أهل العلم، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال غيرهم، وفيه الأمر بانتقاء الشيوخ.

ويدل عليه: ما رواه عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقوا علىٰ إحدىٰ وسبعين ملة، وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة**». فقيل له: ما الواحدة؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٦)].

---

(١) (آل عمران:٧).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص١١).

(٣) انظر: شرح مسلم (١٦/ ٢١٨) للنووي.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٦٠٥، ٥٠١، ٦٠٩ رقم٥٦٠-٧٨٠، ٥٦١، ٧٨٨).

(٥) (النحل:٤٣) و(الأنبياء:٧).

(٦) أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ٢٦رقم٢٦٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، والحديث حسنه لغيره الألباني في صحيح سنن الترمذي (رقم٢٦٤١).

ويدل عليه: ما رواه أبو سَعيدٍ الخُدريُّ أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَن كَانَ قَبلَكُم رَجُلٌ قَتَلَ تِسعَةً وَتِسعِينَ نَفسًا فَسَأَلَ عَن أَعلَمِ أَهلِ الأَرضِ؛ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسعَةً وَتِسعِينَ نَفسًا فَهَل لَهُ مِن تَوبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا؛ فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.

ثُمَّ سَأَلَ عَن أَعلَمِ أَهلِ الأَرضِ؛ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفسٍ فَهَل لَهُ مِن تَوبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَم، وَمَن يَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ التَّوبَةِ، انطَلِق إِلَىٰ أَرضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعبُدُونَ اللهَ فَاعبُد اللهَ مَعَهُم، وَلَا تَرجِع إِلَىٰ أَرضِكَ فَإِنَّهَا أَرضُ سَوءٍ.

فَانطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوتُ فَاختَصَمَت فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ؛ فَقَالَت مَلَائِكَةُ الرَّحمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقبِلًا بِقَلبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَت مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَم يَعمَل خَيرًا قَطُّ، فَأَتَاهُم مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَينَهُم فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَينَ الأَرضَينِ فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدنَىٰ فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدنَىٰ إِلَىٰ الأَرضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتهُ مَلَائِكَةُ الرَّحمَةِ» قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ المَوتُ نَأَىٰ بِصَدرِهِ[1].

قال الحافظ: «فِيهِ: فَضل العَالِم عَلَىٰ العَابِد؛ لِأَنَّ الَّذِي أَفتَاهُ أَوَّلًا بِأَن لَا تَوبَة لَهُ غَلَبَت عَلَيهِ العِبَادَة، فَاستَعظَمَ وُقُوع مَا وَقَعَ مِن ذَلِكَ القَاتِل مِن استِجرَائِهِ عَلَىٰ قَتل هَذَا العَدَد الكَثِير، وَأَمَّا الثَّانِي فَغَلَبَ عَلَيهِ العِلم فَأَفتَاهُ بِالصَّوَابِ،

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٢٨٠ رقم٣٢٨٣)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢١١٨ رقم ٢٧٦٦).

وَدَلَّهُ عَلَىٰ طَرِيقِ النَّجَاةِ»[١].

وفيه: بيان أن الرجوع إلىٰ العلماء حتم لازم.

وفيه: أن المسلم إنما يسأل العلماء الموثوقين.

وما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرجل علىٰ دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢].

ففي الحديث أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن ينتقي المسلم من يصحبه؛ لأنه سيوافقه في طريقته.

قال الخطابي: «معناه: لا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته، فإنك إذا خاللته قادك إلىٰ دينه ومذهبه، فلا تغرر بدينك، ولا تخاطر بنفسك فتخالل من ليس رضيًّا في دينه ومذهبه»[٣].

وقال عبد الله بن مسعود: «اعتبروا الناس بأخدانهم؛ فإن الرجل يخادن من يعجبه نحوه»[٤].

وقال المناوي: «يعني: الإنسان علىٰ دين خليله، أي: علىٰ عادة صاحبه

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥١٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٣،٣٣٤)، وأبو داود في السنن (٤/ ٢٥٩رقم٤٨٣٣)، والترمذي في السنن (٤/ ٥٨٩رقم٢٣٧٨)، والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ رقم٩٢٧).

(٣) العزلة (٤٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان (٨٩رقم٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨٧ رقم٨٩١٩).

وطريقته وسيرته **(فلينظر)** أي: يتأمل ويتدبر **(أحدكم من يخالل)** فمن رضي دينه وخلقه خالله، ومن لا، تجنبه؛ فإن الطباع سراقة»(١).

وقال ملا علي قاري: «**المرء علىٰ دين خليله** أي: غالبًا، والخلة الحقيقية لا تتصوّر إلا في الموافقة الدينية أو الخلة الظاهرة قد تقضي إلىٰ حصول ما غلب علىٰ خليله من الخصلة الدينية، ويؤيده قوله: **فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢).

والبحث والتفتيش هذا ما كان عليه السلف بعد ظهور الفتنة.

قال ابن سِيرِينَ: «لَم يَكُونُوا يَسأَلُونَ عَن الإِسنَادِ؛ فَلَمَّا وَقَعَت الفِتنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُم؛ فَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ السُّنَّةِ فَيُؤخَذُ حَدِيثُهُم، وَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ البِدَعِ فَلَا يُؤخَذُ حَدِيثُهُم»(٣).

وما رواه عَبد اللهِ بن عَمرِو بنِ العَاصِ قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِن النَّاسِ، وَلَكِن يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَم يَترُك عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**(٤).

❊ ❊ ❊

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٠).

(٢) مرقاة المفاتيح (٩/ ٢٢٣).

(٣) تقدم تخريجه (ص١٦).

(٤) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص١٣).

المقصد الثالث: ما تضمنه قول الإمام ابن سيرين من المعاني والفوائد والحكم

تضمن هذا الأثر العظيم -علىٰ وجازة ألفاظه- الكثير من المعاني والحكم، ويمكننا أن نعتبره من الكلمات الجامعة، ولا عجب في ذلك؛ فقد صدر من رجل لازم السنة، ولقي الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ[1]، فنهل من علمهم وفقههم، وتربىٰ علىٰ أيديهم.

فمن المعاني والحكم التي تضمنها هذا الأثر:

أ- تعريف العلم، وبيان المقصود من العلم وحكم تعلمه:

تعريف العلم:

المراد بالعلم في قول الإمام ابن سيرين: هو العلم الشرعي الذي يتقرب به إلىٰ الله ﷻ، وذلك يتمثل في كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ علىٰ فهم سلف الأمة.

وقال سفيان الثوري: «إنما العلم كله العلم بالآثار»[2].

(١) انظر: مشاهير علماء الأمصار (٨٨) لابن حبان.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٦٧) و(٧/ ٥٧).

وقال ابن عبد البر: «اعلم يا أخي أن السنة والقرآن هما أصل الرأي والعيار عليه، وليس الرأي بالعيار علىٰ السنة، بل السنة عيار عليه، ومن جهل الأصل لم يصل الفرع أبدًا.

وقال ابن وهب[١]: حدثني مالك أن إياس بن معاوية قال لربيعة: إن الشيء إذا بني علىٰ عوج لم يكد يعتدل. قال مالك: يريد بذلك المفتي الذي يتكلم علىٰ غير أصل يبني عليه كلامه»[٢].

وقال الشافعي: «جهة العلم ما نص في الكتاب أو السنة أو في الإجماع؛ فإن لم يوجد في ذلك فالقياس علىٰ هذه الأصول ما كان في معناها»[٣].

وقال أبو حاتم الرازي: «العلم عندنا ما كان عن الله تعالىٰ من كتاب ناطق وناسخ غير منسوخ، وما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مما لا معارض له، وما جاء عن الألباء من الصحابة ما اتفقوا عليه، فإذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم، فإذا خفي ذلك، ولم يفهم؛ فعن التابعين، فإذا لم يوجد عن التابعين؛ فعن أئمة الهدىٰ من أتباعهم»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من بنىٰ الكلام في العلم الأصول والفروع علىٰ الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين؛ فقد أصاب

---

(١) أخرجه أبو زرعة في التاريخ (١/ ٤٢٧رقم١٠٢٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٧٣).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٦).

(٤) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٤٣٢).

طريق النبوة»[١].

وقال ابن رجب: «العلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولًا.

ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل وشغل لمن بالعلم النافع عنى واشتغل.

وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال؛ فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه؛ فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا: فهو علم نافع»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «العلم الشرعي، والمراد به: علم ما أنزل الله

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٣).

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (٣/ ٢٦-المجموع).

علىٰ رسوله من البينات والهدىٰ»[١].

المقصود من العلم:

والمقصود من العلم: أن تعبد الله علىٰ بصيرة، وأن تحصل لك الخشية والخوف من الله ﷻ ، وأن تتبع ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وليس المراد من العلم تكثير المعلومات، ولا التفاخر به، فليس العلم مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة للقرب من الله تعالىٰ.

قال عبد الله بن مسعود: «ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم خشية الله»[٢].

وقد فسر هذه الجملة أحمد بن صالح المصري بقوله: «معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية؛ وإنما العلم الذي فرض الله ﷻ أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية»[٣].

وقال سفيان الثوري: «إنما يطلب الحديث ليتقىٰ الله به، فلذلك فضل علىٰ غيره من العلوم، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء»[٤].

---

(١) العلم (١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٥٨).

(٣) نقله ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٥٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٦٢) و(٨/ ٣٣٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ١٩١).

وقال قوام السنة: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الاتباع والاستعمال يقتدي بالصحابة والتابعين، وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال وإن كان كثير العلم»(١).

والمراد بالخشية الموروثة عن العلم بشرع الله وأحكامه، لا الخشية الموروثة من مجرد الخوف كخشية بعض الصالحين العباد، لذلك أثنىٰ الله علىٰ العلماء بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٢).

قال الذهبي: «العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه: الاتباع والفرار من الهوىٰ والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته»(٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «العلم ليس مقصودًا، وإنما يقصد من أجل العمل؛ لأنه وسيلة إلىٰ العمل وخشية الله ﷻ، هذا هو المقصود بالعلم»(٤).

حكم تعلم العلم:

العلم دين، ولابد لإقامة الدين من تعلم أحكامه، وقد بَيَّن النبي ﷺ أن طلب العلم واجب علىٰ كل مسلم؛ فعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ:

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٦٩).

(٢) (فاطر:٢٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٢٣).

(٤) محاضرات في العقيدة والدعوة (٢/ ٢٤٧).

«طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ»[١].

قال البيهقي: «قَوله: (طَلَبُ العِلم فَرِيضَةٌ) أَرَادَ -وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعلَم- العِلم الَّذِي لَا يَسَع البَالِغ العَاقِل جَهله، أَو عِلم مَا يَطرَأُ لَهُ أَو أَرَادَ أَنَّهُ فَرِيضَة عَلَىٰ كُلّ مُسلِم حَتَّىٰ يَقُوم بِهِ مَن فِيهِ الكِفَايَة»[٢].

وَسأل الحسن بن ربيع ابن المُبَارَك عَن تَفسِير هَذَا الحَدِيث؟ فَقَالَ: «لَيسَ هُوَ الَّذِي يَظُنُّونَ؛ إِنَّمَا هُوَ أَن يَقَع الرَّجُل فِي شَيءٍ مِن أُمُور دِينه فَيَسأَل عَنهُ حَتَّىٰ يَعلَمهُ»[٣].

وَقَالَ الثَّورِيُّ: «هُوَ الَّذِي لَا يُعذَر العَبد فِي الجَهل بِهِ»[٤].

والواجب علىٰ كل مسلم: أن يطلب علم ما يحتاج إليه في يومه وليلته من أمور التوحيد والطهارة والصلاة ونحوها.

قال ابن وهب: حدثني مالك، أن رجلًا قال لرجل من أهل العلم سأله عن طلب العلم فقال له: «إن طلب العلم يحسن، لكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح حتىٰ تمسي، ومن حين تمسي حتىٰ تصبح، فالزمه، ولا تؤثرنَّ عليه شيئًا»[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (١/ ٨١رقم٢٢٤)، وصححه لغيره الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٤٨رقم٨٦).

(٢) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٢٤٢).

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٢٤٢رقم٣٢٩).

(٤) نقله السندي في حاشيته علىٰ ابن ماجه (١/ ٢٠).

(٥) أخرجه العطار في ما رواه الأكابر (٥٧رقم٣٧).

وقال أبو عمر بن عبد البر: «قد أجمع العلماء علىٰ أن من العلم ما هو فرض متعين علىٰ كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض علىٰ الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه علىٰ أهل ذلك الموضع»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجبًا علىٰ الإنسان عينًا أي فرض عين.

وضابطه: أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة، وكيف يقوم بهذه المعاملة، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية.

وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي»(٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «من العلم ما هو واجب وجوبًا عينيًّا علىٰ كل مسلم أن يعرفه ولا يعذر أحد بجهله، وهو معرفة ما لا يستقيم دين العبد إلا به من أحكام عقيدته، وأحكام صلاته وزكاته، وصومه وحجه، فهذا القسم من العلم أو هذا القدر من العلم واجب علىٰ كل مسلم أن يعرفه معرفة تامة ولا يعذر أحد بجهله؛ لأنه لا يمكن أن يستقيم دين الإنسان إلا به»(٣).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٠).

(٢) العلم (٢٣).

(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة (٢/ ٢٣٥).

ب- حرمة الكلام في مسائل العلم إلا بالحجة والبرهان:

وقول ابن سيرين -رحمه الله تعالىٰ-: «العلم دين» يدل علىٰ مسألة عظيمة عند أهل العلم والإيمان، ألا وهي تحريم الكلام في دين الله بلا علم.

فعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن أُفتِيَ بِفُتيَا غَيرَ ثَبَتٍ فَإِنَّمَا إِثمُهُ عَلَىٰ مَن أَفتَاهُ»[(١)].

وعن أبي بكر الصديق أنه قال: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم!»[(٢)].

وقال سعيد بن جبير قال: «ويل للذي يقول لما لا يعلم: إني أعلم»[(٣)].

وقال محمد بن سيرين: «لأن يموت الرجل جاهلًا خير من أن يقول ما لا يعلم»[(٤)].

وقال ابن سِيرِينَ: «ما أُبَالِي سُئِلتُ عَمَّا أَعلَمُ أو ما لَا أَعلَمُ؛ لِأَنِّي إذا سُئِلتُ عَمَّا أَعلَمُ قلت: ما أَعلَمُ، وإذا سُئِلتُ عَمَّا لَا أَعلَمُ قلت: لَا أَعلَمُ»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢١رقم٣٦٥٧)، والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم٣٦٥٧).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (١/ ١٦٨رقم٣٩)، والأثر قواه ابن حزم في المحلىٰ (١/ ٦١).

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٤٣٥رقم٨١١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٥٣).

(٤) أخرجه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٤٣٤رقم٨٠٤).

(٥) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٧٥رقم١٨٣).

وقال محمد بن المنكدر: «إن العَالِمَ يَدخُلُ فِيمَا بين اللهِ وَبَينَ عِبَادِهِ فَليَطلُب لِنَفسِهِ المَخرَجَ»(١).

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: قال ابن خلدة -وكان نعم القاضي-: «يا ربيعة، أراك تفتي الناس فإذا جاءك الرجل يسألك فلا تكن همتك أن تخرجه مما وقع فيه، ولتكن همتك أن تتخلص مما سألك»(٢).

وقال مالك: «أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكي! فقال له: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه! فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم! قال ربيعة: ولبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق»(٣).

وقال الإمام الشافعي: «ليس لأحد أن يقول في شيء: حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب أو السنة أو في الإجماع، فإن لم يوجد في ذلك فالقياس على هذه الأصول ما كان في معناها»(٤).

وقال ابن قيم الجوزية: «القول على الله بلا علم هو أشد المحرمات تحريمًا وأعظمها إثمًا؛ ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٦٥رقم١٣٧)، والبغوي في مسند ابن الجعد (٢٥٥رقم١٦٩١).

(٢) أخرجه أبو زرعة في التاريخ (١/ ٤٢٧رقم١٠٢٧)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه أبو زرعة في التاريخ (١/ ٥٧٣رقم١٥٩٧)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٧٦).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٦).

اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال»[١].

ومن تكلم في دين الله بلا علم فهو آثم مخطئ، ولو أصاب الحق.

ولعظم الكلام في دين الله، فإن من تكلم فيه بلا علم فهو آثم ولو وافق الحق؛ لجرأته وإقدامه على الفتوى بغير حجة ولا برهان.

قال الشافعي: «من تكلف ما جهل، وما لم يثبته معرفة، كانت موافقته للصواب وإن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه»[٢].

وقال الخطابي: «من لم يكن محلًّا للاجتهاد فهو متكلف ولا يعذر بالخطأ في الحكم»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم»[٤].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٢).

(٢) الرسالة (٥٣)، ومن طريقه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١٨٠ رقم١٨٩).

(٣) معالم السنن (٥/ ٢٠٥)، وانظر: القواعد النورانية (١٥١) لابن تيمية.

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧١).

وقال الذهبي: «الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرًا منه لا يسوغ له الاجتهاد أبدًا، فكيف يجتهد؟ وما الذي يقول وعلام يبني وكيف يطير ولما يريش»[1].

وقال الشيخ الفوزان: «الجاهل أو المبتدئ في طلب العلم هذا ليس له اجتهاد، ولا يجوز له أن يجتهد، وهو آثم باجتهاده أخطأ أو أصاب؛ لأنه فعل ما ليس له فعله»[2].

ولذلك كان السلف يحثون ويأمرون طلاب العلم، بل حتىٰ العلماء أن يقولوا: لا أعلم فيما لا يعلمون، بل كان النبيﷺ يقول لا أدري إذا سئل عن شيء لا يعلمه.

فعن أبي هُرَيرَةَ قال: قال رسول اللهِﷺ: «**ما أَدرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هو أَم لَا**»[3].

قال مالك بن أنس: «كان رسول اللهﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتىٰ يأتيه الوحي من السماء»[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩١).

(٢) الأجوبة المفيدة (٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٤/ ٢١٨رقم٤٦٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥/ ٢٥١رقم٢٢١٧).

وصح عنهﷺ أنه قال: «**لا تسبوا تبعًا فإنه أسلم**». أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠)، وصححه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٤٨رقم٢٤٢٣).

(٤) أخرجه ابن وهب في كتاب المجالس (٢/ ٥٤-جامع بيان العلم).

وقال علي: «لا يستحيي عالم إن لم يعلم أن يقول: الله أعلم»[١].

وقال ابن مسعود: «يا أيها الناس، اتقوا الله من علم منكم شيئًا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم»[٢].

وعن ابن عمر أنه سئل عن أمر لا يعلمه، فقال: «لا أعلمه»[٣].

وقال الشعبي: «(لا أدري) نصف العلم»[٤].

وقال ابن عجلان: «إذا أغفل العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله»[٥].

وإنما يأثم «لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنىٰ في نفس الأمر لكان قد أخطأ، لأنه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين الناس علىٰ جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم»[٦].

---

(١) أخرجه معمر في الجامع (١١/ ٤٦٩رقم٢١٠٣١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٤/ ١٨٠٩رقم٤٥٣١)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢١٥٥رقم ٢٧٩٨).

(٣) أخرجه الآجري في أخلاق العلماء (١٣٠رقم١٠٤).

(٤) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٧٤رقم١٨٠).

فائدة: أخرج المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٥رقم٤٤٢) عن يحيىٰ بن آدم أنه قال: «تفسير قوله لا أدري نصف العلم: أن العلم إنما هو أدري ولا أدري؛ فأحدهما نصف الآخر».

(٥) أخرجه الآجري في أخلاق العلماء (١٣٢رقم١٠٨).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٦).

ج- وجوب الاختيار والانتقاء للمشايخ الذين يتلقى عنهم العلم:

وقوله: (**فانظروا**) مراده بالنظر أي ابحثوا وتأملوا حال من تأخذون عنه قبل أن تأخذوا، وذلك بمعرفة حاله والسؤال عنه، وكان هذا حال السلف بعد ظهور الفتنة، فكانوا لا يأخذون إلا عمن يرضون دينه وأمانته وعلمه.

قال مالك: «أدركت بالمدينة مشايخ أبناء مائة وأكثر فبعضهم قد حدثت بأحاديثه، وبعضهم لم أحدث بأحاديثه كلها، وبعضهم لم أحدث من أحاديثه شيئًا ولم أترك الحديث عنهم؛ لأنهم لم يكونوا ثقات فيما حملوا إلا أنهم حملوا شيئًا لم يعقلوه»(١).

وقال سُلَيمَان بن مُوسَىٰ: «لَقِيتُ طَاوُسًا فقلت: حدثني فُلَانٌ كَيتَ وَكَيتَ، قال: إن كان صَاحِبُكَ مَلِيًّا فَخُذ عنه(٢). أي ثقة في دينه»(٣).

وقال الأوزاعي: «خذ دينك عمن تثق به وترضىٰ به»(٤).

وقال الشيخ ابن باز: «ينبغي للطالب أن يتوخىٰ الكتب المعروفة، كتب أهل العقيدة، المعروفين بالعقيدة السلفية، يعتني بها، مثل كتب المتقدمين، كتاب عبد الله ابن أحمد، وعثمان بن سعيد الدارمي، وابن خزيمة -رحمهم الله-، وغيرهم من الأئمة المتقدمين.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٥).

(٣) الجرح والتعديل (٢/ ٢٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٩).

وهكذا من بعدهم من أهل العلم والبصيرة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والحافظ ابن كثير، وأئمة الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره من المشايخ اللذين عنوا بالعقيدة وعنوا بالدعوة إليها، مع الحرص علىٰ تدبر القرآن، فإنه أصل الأصول، والعناية بالقرآن والسنة في العقيدة وغيرها»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «التلميذ محتاج إلىٰ الأستاذ من الناحية العلمية والناحية العملية، لهذا كان لزامًا عليه أن يحرص غاية الحرص علىٰ انتقاء الأساتذة الذين عرفوا بالعلم وعرفوا بالأمانة والدين، وعرفوا بالمنهج السليم والتوجه الصحيح، حتىٰ يتلقىٰ من علمهم أولًا ثم من منهجهم ثانيًا»[2].

د- التمييز بين المتصدرين للعلم:

وأفاد قوله: **(فانظروا عمن تأخذون دينكم)** إلىٰ تفاوت طبقات المتصدرين للعلم والإفادة.

قال الخطيب: «إذا قصد أهل محلة للاستفتاء عما نزل به، فعليه أن يسأل من يثق بدينه ويسكن إلىٰ أمانته عن أعلمهم وأمثلهم، ليقصده ويؤم نحوه، فليس كل من ادعىٰ العلم أحرزه، ولا كل من انتسب إليه كان من أهله»[3].

---

(١) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٣٣) لسليمان أبا الخيل.

(٢) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٢٠٠) لسليمان أبا الخيل.

(٣) الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٧٦).

وقال ابن عبد البر: «إنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»[١].

«فليس كل من تصدر للناس وتكلم بين أيديهم أهلًا ليكون عالمًا؛ لأن المتصدرين علىٰ طبقات وأنواع:

فمنهم: طبقة العلماء المجتهدين اجتهادًا مطلق، وهؤلاء هم أهل الفتوىٰ العامة والمرجع في النوازل العامة.

ومنهم: طبقة العلماء المجتهدين اجتهادًا جزئيًّا.

ومنهم: طبقة طلاب العلم الذين لم يبلغوا درجة العلماء.

ومنهم: طبقة العوام الذين تعلموا شيئًا يسيرًا من العلم، ثم تصدروا للخطابة والدعوة.

ومنهم: طبقة لا يؤخذ منها العلم أبدًا.

فهذه الطبقات يجب أن تعرف وأن نميز بينها، ويجب أن نعلم أنه ليس كل من تصدر للناس صلح لئن يفتيهم»[٢].

قال الشافعي: «لا يحل لأحد يفتي في دين الله إلا رجلًا عارفًا بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل.

ثم يكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ،

---

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٩٦).

(٢) هذا استفدته من أخي الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بازمول -جزاه الله خيرًا-.

ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر وما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف وقلة الكلام.

ويكون بعد هذا مشرفًا علىٰ اختلاف أهل الأمصار، ويكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي»[1].

وقال سفيان الثوري: «خذ الحلال والحرام من المشهورين في العلم، وما سوىٰ ذلك فمن المشيخة»[2].

وقال الخطيب البغدادي: «ينبغي لإمام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين، فمن كان يصلح للفتوىٰ أقره عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها، وتقدم إليه بأن لا يتعرض لها وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها»[3].

وقال الشيخ الفوزان: «لا يمكن للإنسان أن يدعو إلىٰ الله إلا إذا كان معه علم، وإن لم يكن معه علم فإنه لا يستطيع أن يدعو إلىٰ الله، وإن دعا فإنه يخطئ أكثر مما يصيب.

فيشترط في الداعية: أن يكون علىٰ علم قبل أن يباشر الدعوة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[4].

---

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٣١رقم١٠٤٨).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤٠٦).

(٣) الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٢٤).

(٤) (يوسف:١٠٨).

وهناك أمور ظاهرة بإمكان العامي أن يدعو إليها، مثل إقامة الصلاة، والنهي عن تركها مع الجماعة، والقيام علىٰ أهل البيت، وأمر الأولاد بالصلاة، هذه الأمور ظاهرة يعرفها العامي ويعرفها المتعلم.

لكن الأمور التي تحتاج إلىٰ فقه، وتحتاج إلىٰ علم أمور الحلال والحرام، وأمور التوحيد والشرك هذه لابد فيها من العلم»(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان أيضًا: «لا يجوز الأخذ عن الجُهّال ولو كانوا متعالمين، ولا الأخذ عن المنحرفين في العقيدة بشرك أو تعطيل، ولا الأخذ عن المبتدعة والمنحرفين وإن سُمّوا علماء.

فالأصناف ثلاثة: أهل العلم النافع والعمل الصالح، وأهل العلم بدون عمل، وأهل العمل بدون علم.

وقد ذكر الله تعالىٰ هذه الأصناف في آخر سورة الفاتحة، وأمرنا أن نسأله أن يهدينا إلىٰ طريق الصنف الأول، وأن يجنبنا طريق الصنفين الآخرين.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(٢).

فجعل الصنف الأول مُنعَمًا عليه، والصنف الثاني مغضوبًا عليه، والصنف الثالث ضالًّا.

وهذان الصنفان الأخيران يمثلان الفِرق المنحرفة اليوم، وإن كانت

---

(١) الأجوبة المفيدة (١٣٧)، وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (١/ ١٣٢-١٣٥) للفوزان.

(٢) (الفاتحة: ٦-٧).

تنتسب إلىٰ الإسلام»[١].

هـ- من هم العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم:

المقصود بالعلماء: هم العلماء الربانيون أهل الخشية والتقوىٰ الذي تعلموا العلم الشرعي من كتاب وسنة علىٰ فهم السلف الصالح، وعلموا الناس ما ينفعهم من أمور دينهم، ولم يشغلوا الناس بما لا يعنيهم ولا مصلحة لهم به أو ما لا يحتاج إليه الناس من القصص والخطرات والوساوس.

روىٰ أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولا دِرهَمًا وَرَّثُوا العِلمَ؛ فَمَن أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٢].

قال ابن حبان: «في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم، ألا تراه يقول: العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته؛ فمن تعرىٰ عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء»[٣].

وقال أيوب: «ما أمات العلم إلا القصاص، إن الرجل ليجلس إلىٰ القاص برهة من دهره فلا يتعلق منه بشيء، وإنه ليجلس إلىٰ الرجل العالم

---

(١) الأجوبة المفيدة (٢٥١-٢٥٤).

(٢) صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه (ص٣٢).

(٣) الصحيح (١/ ٢٩٠).

الساعة فما يقوم حتىٰ يفيد منه شيئًا»[١].

وقال **ابن عبد البر**: «إنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»[٢].

وقال **الشيخ صالح الفوزان**: «الذين تتلقىٰ عنهم العقيدة هم أهل التوحيد، وعلماء التوحيد الذين درسوا هذه العقيدة دراسة واعية، وتفقهوا فيها، فالرجوع إلىٰ أهل التوحيد وإلىٰ علماء التوحيد الذين سلمت عقيدتهم وصفت هم الذين تؤخذ عنهم عقيدة التوحيد»[٣].

كيف يُعرف العالم؟

السبيل إلىٰ معرفة العالم بسؤال أهل العلم في وقته عنه، والمشهورين من فقهاء عصره، ويعول علىٰ ما يخبرونه من أمره، وأن يشتهر بطلب العلم[٤].

وقال شعبة: «خذوا العلم من المشهورين»[٥].

وقال مالك بن أنس: «ما أجبت في الفتوىٰ حتىٰ سألت من هو أعلم مني: هل يراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيىٰ بن سعيد، فأمراني

---

(١) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٦٤رقم١٥٠٠).

(٢) جامع بيان العلم (٢/ ٩٦).

(٣) الأجوبة المفيدة (٩٥).

(٤) انظر: الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٢٥) للخطيب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٨)، والخطيب في الكفاية (١٦١).

بذلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو نهوك، قال: كنت أنتهي، لا ينبغي لرجل أن يرىٰ نفسه أهلًا لشيء حتىٰ يسأل من هو أعلم منه»[١].

قال علي بن الحسين بن شقيق: سمعت عبد الله بن المبارك يسأل متىٰ يسع الرجل أن يفتي؟ قال: «إذا كان عالمًا بالأثر بصيرًا بالرأي»[٢].

وقال صالح بن أحمد بن حنبل لأبيه: ما تقول في الرجل يسأل عن الشيء فيجيب بما في الحديث، وليس بعالم بالفتيا؟ قال: «ينبغي للرجل إذا حمل نفسه علىٰ الفتيا أن يكون عالمًا بالسنن، عالمًا بوجوه القرآن، عالمًا بالأسانيد الصحيحة، وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ في السنة، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها»[٣].

وليس المنصب أو الولاية أو الشهادة العلمية دليلًا علىٰ أن صاحبه عالم يستحق أن يؤخذ منه العلم، بل قد يتولىٰ من لم تكتمل أهليته في العلم، بل من قد يكون جاهلًا بأحكام الشرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المنصب والولاية لا يجعل من ليس عالمًا مجتهدًا عالمًا مجتهدًا، ولو كان الكلام في العلم والدين بالولاية والمنصب؛ لكان الخليفة والسلطان أحق بالكلام في العلم والدين وبأن

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣١٦)، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٤٤٠رقم٨٢٥).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٤٧)، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (١٧٩رقم١٨٧).

(٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٣٢).

يستفتيه الناس ويرجعوا إليه فيما أشكل عليهم في العلم والدين»[١].

و- من الذين لا يؤخذ منهم العلم:

النظر في حال المتصدرين لإفادة الناس ينتج منه التمييز بين من يؤخذ منه العلم، ومن لا يؤخذ منه العلم.

قال ابن سِيرِينَ: «لَم يَكُونُوا يَسأَلُونَ عَن الإِسنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَت الفِتنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُم؛ فَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ السُّنَّةِ فَيُؤخَذُ حَدِيثُهُم، وَيُنظَرُ إِلَىٰ أَهلِ البِدَعِ فَلَا يُؤخَذُ حَدِيثُهُم»[٢].

وقد ادعىٰ العلم بعض الدخلاء وتصدر لإفادة الناس بعض أهل البدع والأهواء، واعتلا منبر الدعوة من هو أحوج إلىٰ العلم والدعوة من غيره من الجهلاء، فحذر السلف الصالح منهم.

ولا يزال أهل العلم والإيمان الذين اتبعوا السلف الصالح بإحسان ينفرون الناس منهم، وشددوا في الأخذ عنهم، لعظم خطرهم علىٰ المجتمع المسلم، وما ينتج عنه من الضلال والانحراف عن الصراط المستقيم.

ويمكن أن نرجع أسباب من لا يؤخذ عنه العلم إلىٰ سببين رئيسين:

السبب الأول: الجهل.

والسبب الثاني: مخالفة الحق لشهوة أو لشبهة.

---

(١) كما في المجموع (٢٧/ ٢٩٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٦).

قال سفيان الثوري: «العلماء ثلاثة:

- عَالِمٌ بِاللهِ يَخشَىٰ اللهَ ليس بِعَالِمٍ بِأَمرِ اللهِ.

- وَعَالِمٌ بِاللهِ عَالِمٌ بِأَمرِ اللهِ يَخشَىٰ اللهَ فَذَاكَ العَالِمُ الكَامِلُ.

- وَعَالِمٌ بِأَمرِ اللهِ ليس بِعَالِمٍ بِاللهِ لَا يَخشَىٰ اللهَ فَذَلِكَ العَالِمُ الفَاجِرُ»[1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبيﷺ في السنة، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «علىٰ كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله، وما نهىٰ الله عنه ورسوله فيتركه، هذا هو طريق الله وسبيله ودينه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين...

فمن دعا إلىٰ العلم دون العمل المأمور به؛ كان مضلًا.

ومن دعا إلىٰ العمل دون العلم؛ كان مضلًا.

وأضل منهما: من سلك في العلم طريق أهل البدع فيتبع أمورًا تخالف الكتاب والسنة يظنها علومًا وهي جهالات»[3].

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ١١٤رقم٣٦٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٩١).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٣٢رقم١٠٤٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٦-٢٧).

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ١٤٣): «أسباب الضلال والغي: البدع في الدين والفجور في الدنيا، وهي مشتركة تعم بني آدم لما فيهم من الظلم والجهل».

فممن لا يؤخذ عنه العلم: الجهال:

عن عَبد اللهِ بنَ عَمرِو بنِ العَاصِ قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِن النَّاسِ، وَلَكِن يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَم يَترُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

قال الخطابي: «قد أعلم رسول الله ﷺ أن آفة العلم ذهاب أهله وانتحال الجهال وترؤسهم علىٰ الناس باسمه، وحذر الناس أن يقتدروا بمن كان من أهل هذه الصفة، وأخبر أنهم ضلال مضلون»(٢).

والمراد بالجاهل: كل من تكلم في دين الله بلا علم، ولو كان يحسن العبارة، ولو كان يُدرسُ، ولو كان يؤلف الكتب، ولو كان خطيبًا مفوهًا.

ويدخل في الجاهل: من كثر خطؤه علىٰ صوابه.

قال ابن عبد البر: «روىٰ مالك بن أنس عن سعيد بن المسيب بلغه عنه أنه كان يقول: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أنه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله.

وقال غيره: لا يسلم العالم من الخطأ؛ فمن أخطأ قليلًا وأصاب كثيرًا

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص١٣).

(٢) العزلة (٨٢).

فهو عالم، ومن أصاب قليلًا وأخطأ كثيرًا فهو جاهل»[(١)].

قال ابن عبد البر: «في هذا دليل أن المخطئ عنده وإن اجتهد فليس بمرضي الحال، والله أعلم»[(٢)].

ويدخل في الجهال: التائبون من المعاصي.

ويدخل فيهم: علماء الطب والجيولوجيا والإعجاز العلمي وغيرها من العلوم الكونية الذين لم يتفقهوا في دين الله، ثم يتصدرون لبيان معاني القرآن والسنة.

كما أن كلمة الجاهل تشمل أهل البدع والأهواء.

قال عبد الله بن إسحاق: «كان عبد الله بن الحسن يكثر الجلوس إلىٰ ربيعة، قال: فتذكروا يومًا السنن فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل علىٰ هذا، فقال عبد الله: أرأيت إن كثر الجهال، حتىٰ يكونوا هم الحكام أفهم الحجة علىٰ السنة؟ قال ربيعة: أشهد أن هذا الكلام أبناء الأنبياء»[(٣)].

وقد اشتد نكير النبي ﷺ علىٰ من تكلم بلا علم، وأوضح أن علاج الجهل التعلم عن طريق السؤال؛ فقال: «**ألا سَألُوا إذ لم يَعلَمُوا؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ**»[(٤)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٢).

(٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٣٨٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (١/ ٩٣رقم٣٣٦)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح أبي داود (رقم٣٣٦).

وقال معاوية ﷺ: «إنه بلغني أن رجالًا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالىٰ ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ فأولئك جهالكم؛ فإياكم والأماني التي تضل أهلها»(١).

قال الذهبي: «لا تقوىٰ إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله.

لا ليقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه؛ إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلىٰ معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله لا ليمدح بتركها؛ فمن داوم علىٰ هذه الوصية فقد فاز»(٢).

وقال ابن قيم الجوزية: «الجهل أصل كل فساد، وكل ضرر يلحق العبد في دنياه وأخراه فهو نتيجة الجهل»(٣).

وكلام الجاهل كعدمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما من ليس من أهل العلم فيما تكلموا فيه فذاك وجوده كعدمه»(٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «إن أول زاد يجب أن يتزود به الداعية أن يكون عالمًا، والتقليل من أهمية العلم معناه أن يبقىٰ الناس علىٰ جهل، وأن تكون دعوتهم عائمة لا يدرىٰ ما وجه الصواب فيها.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٢٨٩ رقم٣٣٠٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١٥).

(٤) النبوات (١٤٧).

وإذا كانت الدعوة قائمة علىٰ جهل، فإن كل إنسان سوف يحكم بما يملي عليه عقله مما يظنه صوابًا، وهو خطأ، فأرىٰ أن هذا الاتجاه[١] اتجاه خاطئ! وأنه يجب العدول عنه، وألا يدعو الإنسان إلا بعد أن يعلم.

وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ نحو هذا في قوله في الصحيح: باب العلم قبل القول والعمل، ثم استدل بقوله تعالىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٢].

فلابد أن يعلم الإنسان أولًا ثم يدعو، وأما الدعوة علىٰ غير علم فلا تستقيم أبدًا»[٣].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا يجوز الأخذ عن الجهال، ولو كانوا متعالمين»[٤].

وممن لا يؤخذ عنه العلم: المجهول:

المجهول هو كل من تصدر لإفادة الناس ولا يُعرف حاله من جهة العلم.

قال الخطيب: «المجهول عند أصحاب الحديث هو كل من لم يشتهر

---

(١) أراد: ما جاء في السؤال: هناك بعض الدعاة نجدهم يهتمون بالدعوة إلىٰ الله، والأخوة في الله والمحبة فيه، ولا يركزون ولا يهتمون بالتعلم والتفقه في أمور الدين والعقيدة وحضور مجالس العلم، ما هو تعليقكم علىٰ ذلك؟.

(٢) (محمد:١٩).

(٣) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (١٤٥).

(٤) الأجوبة المفيدة (٢٥٤).

بطلب العلم في نفسه، ولا عرفه العلماء به، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد»(١).

قال عبد الله: «إِنَّ الشَّيطَانَ لَيَتَمَثَّلُ في صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي القَومَ فَيُحَدِّثُهُم بِالحَدِيثِ من الكَذِبِ فَيَتَفَرَّقُونَ فيقول الرَّجُلُ منهم: سمعت رَجُلًا أَعرِفُ وَجهَهُ ولا أدري ما اسمُهُ يحدث»(٢).

قال ملا علي قاري: «فيه تنبيه على التحري فيما يسمع من الكلام، وأن يتعرف من القائل أهو صادق يجوز النقل عنه أو كاذب يجب الاجتناب عن نقل كلامه»(٣).

وفي حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ في قصة الشيطان: فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قلت: يا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنفَعُنِي الله بها فَخَلَّيتُ سَبِيلَهُ. قال: «**ما هِيَ؟**»، قلت: قال لي: إذا أَوَيتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقرَأ آيَةَ الكُرسِيِّ من أَوَّلِهَا حتى تَختِمَ الله لَا إِلَهَ إلا هو الحَيُّ القَيُّومُ، وقال لي: لَن يَزَالَ عَلَيكَ من اللهِ حَافِظٌ ولا يَقرَبَكَ شَيطَانٌ حتى تُصبِحَ، وَكَانُوا أَحرَصَ شَيءٍ على الخَيرِ.

فقال النبي ﷺ: «**أَمَا إنه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، تَعلَمُ من تُخَاطِبُ مُنذُ**

(١) الكفاية (٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٢).

(٣) مرقاة المفاتيح (٩/ ٩١).

ثَلَاثِ لَيَالٍ يا أَبَا هُرَيرَةَ؟». قال: لَا. قال: «ذَاكَ شَيطَانٌ»(١).

ففي هذا الحديث إقرار النبيﷺ لأبي هريرة في عدم اعتماده علىٰ قول من لا يعرفه حتىٰ يتثبت، مما يدل أن المجهول لا يؤخذ عنه العلم ولا يقبل قوله إلا بعد التثبت من أهل العلم.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الكتيبات كثيرة، وكثيرة أيضًا من أناس مجهولين لا يعلم عنهم سابق علم، ولا سابق فقه، فيحصل فيها إذا خالفت الحق ضرر علىٰ العامة، ولهذا أنا أنصح ألا يتلقىٰ من هذه الكتيبات إلا من عرف أصحابه، وأنهم من العلماء الموثوقين بهم دينًا وعلمًا حتىٰ لا يضل، وكما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

فالمسألة ليست بهينة، فأرىٰ أن الإنسان وخصوصًا من ليس عنده علم كافٍ ألا يقتني هذه الكتيبات، وأن يرجع إلىٰ كتب أهل العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم»(٢).

وممن لا يؤخذ عنه العلم: أهل الرأي المحض المجرد عن الدليل:

قال عمر بن الخطاب: «إن أصحاب الرأي أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا علم لنا؛ فعارضوا السنن برأيهم! إياك وإياهم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٨١٢رقم٢١٨٧).

(٢) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٣٨٢) لسليمان أبا الخيل.

(٣) أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (٢/ ١٢رقم١٣٦٣)، والدارقطني في السنن (٤/ ١٤٦).

=

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «ردوا الجهالات إلىٰ السنة»[١].

وقال عطاء: «ليس الدين بالرأي ولكنه السمع»[٢].

وقال مالك: «قبض رسول الله وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله وأصحابه ولا نتبع الرأي، وإنه من اتبع الرأي جاء رجل أقوىٰ منك في الرأي فأتبعته، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته أرىٰ هذا الأمر لا يتم»[٣].

وقال عصام بن يوسف: «عليكم بالآثار، وإياكم والرأي»[٤].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «لا تكاد ترىٰ أحدًا نظر في هذا الرأي إلا وفي قلبه دغل»[٥].

وذكر الإمام أحمد حيل أصحاب الرأي فقال: «يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ»[٦].

=

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٢٨٩): «أراد ذم من قال بالرأي مع وجود النص من الحديث؛ لإغفاله التنقيب عليه».

(١) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (١/ ٣٥٥رقم١٣٢٦).

(٢) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ٢٨٦رقم٣٧٤).

(٣) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٩٩).

(٤) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٢/ ٢٦٢رقم٣٣١).

(٥) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد (٢٧٥).

(٦) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد (٢٧٦).

وقال أبو بكر بن أبي داود: «أهل الرأي: هم أهل البدع»(١).

قال محمد بازمول: «الرأي يطلق عند السلف علىٰ معنيين:

الأول: الرأي بمعنىٰ الرجوع إلىٰ العقل وتقديمه علىٰ النص.

الثاني: الرأي بمعنىٰ الرجوع إلىٰ العقل مع تقديم نصوص الشرع عليه؛ فهو القياس الصحيح والمعاني والعلل الصحيحة التي علق الشارع بها الأحكام وجعلها مؤثرة فيها طردًا وعكسًا.

والرأي بالمعنىٰ الأول مذموم؛ إذ يقدم فيه العقل علىٰ النص فيما جاء فيه النص، أو يقاس بالعقل دون الرجوع إلىٰ أصل.

وبتأمل هذه النصوص وما في معناها يتبين أن الرأي المذموم في كلام السلف يطلق علىٰ أنواع، وهي التالية:

١- الرأي المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

٢- الكلام في الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها؛ فإن من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر، أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما يفرق بينهما في الحكم من غير نظر إلىٰ النصوص والآثار؛ فقد وقع في الرأي المذموم الباطل.

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٣٥).

٣- الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم، حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة؛ فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلىٰ تكذيب رواتها وتخطئتهم، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلىٰ رد ألفاظها سبيلًا، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب، والنوع الثاني بالتحريف والتأويل.

٤- الرأي الذي أحدثت به البدع، وغيرت به السنن وعم به البلاء، وتربىٰ عليه الصغير، وهرم فيه الكبير.

٥- القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات، ورد الفروع بعضها علىٰ بعض قياسًا، دون ردها علىٰ أصولها والنظر في عللها واعتبارها؛ فاستعمل فيها الرأي قبل أن ينزل وفرعت وشققت قبل أن تقع، وتُكُلِّم فيها قبل أن تكون بالرأي المضارع للظن.

كما يتبين أن الرأي المحمود في كلامهم يطلق علىٰ الأنواع التالية:

١- رأي الصحابة.

٢- الرأي الذي يفسر النصوص ويبين وجه الدلالة منها ويقررها ويوضح محاسنها ويسهل طريق الاستنباط منها.

٣- ما تواطأت الأمة عليه وتلقاه خلفهم عن سلفهم؛ فإن تواطؤ الأمة لا يكون إلا صوابًا.

٤- الاجتهاد في الواقعة بعد طلب علمها من القرآن والسنة، وما جاء عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، فإنه ينظر إلىٰ أقرب ذلك من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقضية أصحابه»(١).

وممن لا يؤخذ عنه العلم: الصحفيون:

قال الأوزاعي: «ما زال هذا العلم عزيزًا يتلقاه الرجال، حتىٰ وقع في الصحف فحمله أو دخل فيه غير أهله»(٢).

وقال سليمان بن موسىٰ: «لا يؤخذ العلم من صَحَفي»(٣).

وقال الخطيب: «ويجب أن يكون حفظه مأخوذًا عن العلماء لا عن الصحف»(٤).

وقال الخطيب أيضًا: «التصحيف والإحالة يسبقان إلىٰ من أخذ العلم عن الصحف»(٥).

وقال الشيخ الفوزان: «يجب علىٰ الشباب أن يُقبِلوا علىٰ العلماء الناصحين

(١) انظر: الانتصار لأهل الحديث (١١-٣٤) ورسالة عمر في القضاء (٧٧-٧٨) لأحمد بن عمر.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ١٣٢رقم٤٦٧)

ولعل من معاني كلام الأوزاعي: أن الرجل إذا جلس إلىٰ العلماء تبين حاله عندهم بينما إذا أخذ عن الكتب لا يعرف حاله. وهذه دقيقة فتأمل.

(٣) أخرجه أبو زرعة في التاريخ (١/ ٣١٨رقم٦٠٣)

(٤) الكفاية (١٦٢).

(٥) الكفاية (١٦٣).

المعروفين بالعلم والاستقامة، والعلماء هم الذين يوجهونهم إلىٰ الكتب النافعة، وما يصلح من الكتب.

أما من يقرأ الكتب من دون معلم هذا لا جدوىٰ منه، والكتب النافعة كثيرة ولله الحمد، وأعظمها كتاب الله، لكن ما كل من قرأ كتاب الله يفهمه.

فالخوارج يقرءون كتاب الله ويقيمونه كإقامة السهم، ويعرفون به، ولهم دوي بتلاوته كدوي النحل من تلاوة القرآن والصلاة بالليل، لكن لا يفهمون القرآن.

وهذه هي المصيبة فليس العبرة بوجود الكتب، فإذا كان القرآن لم يفهموه، وضلوا وانحرفوا عن الطريق الصحيح وهم يقرءونه ويتهجدون به، فكيف بغيره من الكتب، فليس المدار علىٰ الكتب، المدار علىٰ العلماء.

العلماء هم الذين عليهم المدار، وهم القدوة وهم ورثة الأنبياء، وبدون العلماء لا يبقىٰ علم، ووجود الكتب بدون العلماء لا ينفع»(١).

وطلب العلم عن الكتب ليس مذمومًا مطلقًا.

قال الشيخ ابن عثيمين: «لا شك أن العلم يحصل بطلبه عند العلماء وبطلبه في الكتب؛ لأن كتاب العالم هو العالم نفسه، فهو يحدثك من خلال كتابه، فإذا تعذر الطلب علىٰ أهل العلم، فإنه يطلب العلم من الكتب.

ولكن تحصيل العلم عن طريق العلماء أقرب من تحصيله عن طريق الكتب؛ لأن الذي يحصل عن طريق الكتب يتعب أكثر ويحتاج إلىٰ جهد

---

(١) توجيهات مهمة لشباب الأمة (٣٩).

كبير جدًّا، ومع ذلك فإنه قد تخفىٰ عليه بعض الأمور كما في القواعد الشرعية التي قعَّدها أهل العلم والضوابط، فلابد أن يكون له مرجع من أهل العلم بقدر الإمكان.

وأما قوله: (من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه)، فهذا ليس صحيحًا علىٰ إطلاقه ولا فاسدًا علىٰ إطلاقه، أما الإنسان الذي يأخذ العلم من أي كتاب يراه فلا شك أنه يخطئ كثيرًا، وأما الذي يعتمد في تعلُّمه علىٰ كتب رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم فإن هذا لا يكثر خطؤه، بل قد يكون مصيبًا في أكثر ما يقول»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين موصيًا طلاب العلم باقتناء أمهات الكتب السلفية: «الحرص علىٰ الكتب المهمة:

يجب علىٰ طالب العلم أن يحرص علىٰ الكتب الأمهات الأصول دون المؤلفات حديثًا؛ لأن بعض المؤلفين حديثًا ليس عنده العلم الراسخ، ولهذا إذا قرأت ما كتبوا تجد أنه سطحي، قد ينقل الشيء بلفظه، وقد يحرفه إلىٰ عبارة طويلة لكنها غثاء، فعليك بالأمهات كتب السلف؛ فإنها خير وأبرك بكثير من كتب الخلف؛ لأن غالب كتب المتأخرين قليلة المعاني، كثيرة المباني، تقرأ صفحة كاملة يمكن أن تلخصها بسطر أو سطرين، لكن كتب السلف تجدها هينة، لينة، سهلة رصينة، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنىٰ»[2].

---

(١) العلم (١٥٠).

(٢) العلم (٨٩).

وممن لا يؤخذ عنه العلم: من قَلَّ فقهه من الخطباء:

ليست كثرة الكلام ولا تشقيق المعاني دليلًا علىٰ فقه الرجل وعلمه، بل قِلة الكلام ووجازته، وقصر الخطبة دليل علىٰ فقه الرجل.

قال أبو وَائِل: خَطَبَنَا عَمَّارٌ فَأَوجَزَ وَأَبلَغَ فلما نَزَلَ قُلنَا: يا أَبَا اليَقظَانِ لقد أَبلَغتَ وَأَوجَزتَ فَلَو كُنتَ تَنَفَّستَ؟ فقال: إني سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطبَتِهِ مَئِنَّةٌ من فِقهِهِ؛ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقصُرُوا الخُطبَةَ، وَإِنَّ من البَيَانِ سِحرًا**»[1].

وقال أنس بن مالك: «خطب رجل عند عمر فأكثر الكلام فقال عمر: إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان»[2].

وقال ابن الجوزي: «العالم عند العوام من صعد المنبر»[3].

وقال ابن رجب: «قد فُتن كثير من المتأخرين بهذا؛ فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض.

وانظر إلىٰ أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم،

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/ ٥٩٤رقم٨٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٢رقم٨٧٦).

(٣) القصاص والمذكرين (٣١٨).

وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.

فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم؛ فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين، وهذا يلزم منه ما قبله؛ لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولًا ممن كان قبلهم، فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولًا بطريق الأولىٰ كالثوري، والأوزاعي، والليث، وابن المبارك، وطبقتهم، وممن قبلهم من التابعين، والصحابة أيضًا.

فإن هؤلاء كلهم أقل كلامًا ممن جاء بعدهم، وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبته لهم إلىٰ الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة أنهم: «أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا»[1].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٤/ ٢٨٨رقم٧٤٦).

وروي نحوه عن ابن عمر أيضًا[١].

وفي هذا إشارة إلىٰ أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا.

وقال ابن مسعود أيضًا: «إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه، كثير خطباؤه»[٢].

فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح ومن كان بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه[٣]، وأهل اليمن أقل الناس كلامًا وتوسعًا في العلوم، لكن علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك.

وهذا هو الفقه والعلم النافع؛ فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثورًا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلىٰ أن ينتهي إلىٰ أئمة الإسلام المشهورين المقتدىٰ بهم الذين سميناهم فيما سبق»[٤].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «إن وجود المثقفين والخطباء المتحمسين لا يعوض الأمة عن علمائها، وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان: «**يكثر**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه أبو خيثمة في العلم (٢٧رقم١٠٩)، وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٣٨٢رقم٣٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٤/ ١٥٩٥رقم٤١٢٩)، ومسلم في الصحيح (١/ ٧١رقم٥٢) عن أبي هُرَيرَةَ.

(٤) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف (٣/ ٢١-المجموع).

القراء، ويقل الفقهاء»[١].

وهؤلاء قراء وليسوا فقهاء، فإطلاق لفظ العلماء علىٰ هؤلاء إطلاق في غير محله، والعبرة بالحقائق لا بالألقاب، فكثير من يجيد الكلام ويستميل العوام وهو غير فقيه»[٢].

ومن لا يؤخذ عنه العلم: من قلَّ علمهم من الوعاظ والمذكرين:

قال ابن الجوزي: «التذكير: هو تعريف الخلق نعم الله ﷻ عليهم، وحثهم علىٰ شكره وتحذيرهم من مخالفته.

والوعظ: هو تخويف يرق له القلب»[٣].

وقال الذهبي: «الوعظ فن بذاته يحتاج إلىٰ مشاركة جيدة في العلم، ويستدعي معرفة حسنة بالتفسير، وإكثارًا من حكايات الفقراء والزهاد، وعدته التقوىٰ والزهادة.

فإذا رأيت الواعظ راغبًا في الدنيا قليل الدين؛ فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع، وكم من واعظ مفوه قد أبكىٰ وأثر في الحاضرين تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا، ومتىٰ كان الواعظ مثل الحسين والشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمهما الله تعالىٰ- انتفع به الناس»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٣١٩رقم٣٢٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤) وهو حسن.

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة (٢/ ١٨٦).

(٣) القصاص والمذكرين (١٦١).

(٤) زغل العلم (١١).

وقال ابن الجوزي: «متىٰ كان الواعظ عالمًا بتفسير القرآن، والحديث، وسير السلف والفقه: عرف الجادة، ولم يخف عليه بدعة من سنة، ودله علمه علىٰ حسن القصد وصحة النية.

ومتىٰ كان قاصر العلم طالبًا للدنيا لم ينفع غيره وضر نفسه»(١).

قال الذهبي: «ما الظن إذا كان واعظ الناس من هذا الضرب عبد بطنه وشهوته، وله قلب عري من الحزن والخوف، فإن انضاف إلىٰ ذلك فسق مكين أو انحلال من الدين فقد خاب وخسر ولابد أن يفضحه الله تعالىٰ»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «إن الواجب أن تنظروا إلىٰ العلم؛ لأن العلم هو الأصل، وأما القدرة علىٰ التأثير وعلىٰ الدعوة فهذا باب آخر، فكم من إنسان جاهل في ميزان العلم -يعني: في علم الشريعة- لكن عنده قوة تأثير حينما يتكلم بوعظ أو ما أشبه ذلك.

فالواجب علىٰ الإنسان: ألا يأخذ دينه إلا ممن هو أهل للأخذ منه، كما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم.

ولا يكفي الإنسان أن يكون قوي الحجة عظيم البيان، فالواجب أن ينظر إلىٰ ما عنده من العلم وما عنده من السلوك»(٣).

---

(١) القصاص والمذكرين (٣٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١٠).

(٣) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٣٦٤) لسليمان أبا الخيل.

ومن لا يؤخذ عنه العلم: من قلَّ فقهه من القصاص:

اعتاد العوام علىٰ محبة القصص؛ لما فيها من التشويق والتسلية، وظنوا أن القصاص الذين لديهم القدرة علىٰ حكاية القصة وسرد أحداثها علماء وفقهاء في دين الله، والواقع أن مجرد القدرة علىٰ سرد القصص لا يدل علىٰ الفقه والفهم للعلم الشرعي.

قال ابن الجوزي: «القاص: هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها، وذلك القصص، وهذا الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين، وهذا لا يذم لنفسه؛ لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر، وعظة لمزدجر، واقتداء بصواب لمتبع»(١).

وقد ذم السلف القصاص؛ لأن الغالب عليهم قلة الفقه في دين الله، ولأنهم أشغلوا العامة بغير الكتاب والسنة، وعلقوا قلوبهم بها.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «مرَّ علي بن أبي طالب بقاصٍّ يقص، فقال: تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت»(٢).

قال ابن أبي عاصم: «هذا دليل علىٰ امتحان القصاص المأذون لهم في القصص»(٣).

---

(١) القصاص والمذكرين (١٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في المذكر والتذكير (٨٢رقم١٤)، وأبو خيثمة في العلم (٣١رقم ١٣٠).

(٣) المذكر والتذكير (٩٩).

وقال أيوب: «ما أمات العلم إلا القصاص، إن الرجل ليجلس إلىٰ القاص برهة من دهره فلا يتعلق منه بشيء، وإنه ليجلس إلىٰ الرجل العالم الساعة فما يقوم حتىٰ يفيد منه شيئًا»(١).

وعلق عليه ابن الجوزي بقوله: «أكثر كلام الوعاظ الرقائق، فإذا تشاغل الإنسان بسماعها عن الفقه قلَّ علمه»(٢).

وإنما كره السلف القصص؛ لأنه لم يكن علىٰ عهد النبي ﷺ فأنكروه.

ولأن قلة الصحة في أخبار المتقدمين، خصوصًا ما ينقل عن بني إسرائيل، وفي شرعنا غنية.

ولأن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن، ورواية الحديث، والتفقه في الدين.

ولأن في القرآن من القصص وفي السنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا تتيقن صحته.

ولأن أقوامًا أدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام.

ولعدم تحري غالب القصاص الصواب، ولا يحترزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم(٣).

وقال صالح الفوزان: «حذر السلف -رحمهم الله- من القصاص؛

(١) تقدم تخريجه (ص٥٥).

(٢) القصاص (٣٥٣).

(٣) انظر: القصاص (١٥٨) لابن الجوزي.

لأنهم في الغالب لا يتوخون في كلامهم ما يؤثر علىٰ الناس من القصص والآثار التي لم تصح، ولا يعتمدون علىٰ الدليل الصحيح، ولا يعنون في تعليم الناس أحكام دينهم وأمور عقيدتهم؛ لأنهم ليس عندهم فقه.

ويمثلهم في وقتنا الحاضر: جماعة التبليغ بمنهجهم المعروف، مع ما عندهم من تصوف وخرافة.

وكذلك هم -القصاص- في الغالب يعتمدون علىٰ نصوص الوعيد، فيقنطون الناس من رحمة الله تعالىٰ»[١].

القصص من علامات الخوارج:

وإشغال العامة بالقصص هو من سمة الخوارج.

قال محمد بن سيرين: «أول من قص الخوارج» وفي لفظ: «أنه سأله رجل عن القصص؟ فقال: بدعة! إن أول ما أحدث الحرورية القصص»[٢].

وعلق عليه ابن الجوزي بقوله: «اشتغلت الحرورية بالقصص عن حكم القرآن وفهمه، ومالوا إلىٰ آرائهم، فوقع لذلك ذمهم»[٣].

وقال أيضًا ابن الجوزي: «لما أظهرت الخوارج القصص وأكثرت منه كره التشبه بهم»[٤].

---

(١) الأجوبة المفيدة (٢٢٤).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في القصاص (١٧٧، ٣٤٣رقم١٩٦، ٢٦).

(٣) القصاص (٣٤٤).

(٤) القصاص (٣٤٦).

وقال الشيخ أحمد النجمي: «المقصود بالقصاص أو القصاصين أنهم يعتمدون في مواعظهم علىٰ القصة، وهذا موجود الآن في محيطنا، فالوعاظ الآن الذين يعتمدون علىٰ القصص هم يعتبرون قصاصين، وهذه طريقة كثير من الوعاظ في زمننا هذا.

وإنك لتجد هؤلاء يكثرون من القصص والرقائق، ولا يعرجون علىٰ تعليم الناس العقيدة، ولا تعليمهم للأحكام الشرعية كالصلاة المفروضة وكيفيتها وما يخل بها، وهكذا طريقتهم أنهم يكثرون من القصص والرقائق، أما ما ذكره الله ﷻ من القصص القرآني الذي قصه ﷻ عن الأمم الماضية فهذا ليس بداخل في القصص المذموم الذي ذكره السلف، وما قصه النبي ﷺ كذلك»(١).

وممن لا يؤخذ عنه العلم: من قل فقهه من العباد:

العالم هو من جمع بين العلم والعمل وغلب عليه العلم، والعابد من اشتغل بالعبادة وغلب عليه العمل، والعالم العامل أفضل من العابد كثير العمل.

روىٰ أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ فَضلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «العالم يضيء للناس فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم مثلما يضيء لهم القمر في الليل، أما العابد فإنما يضيء لنفسه مثل

(١) الفتاوىٰ الجلية (٢/ ٨٦).

(٢) صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه.

النجم، فالنجم لا يضيء إلا لنفسه فقط؛ فالعابد عبادته مقصورة عليه لا تتعدىٰ إلىٰ غيره فصار مثل النجم، أما العالم فإن نفعه يكون لنفسه ويتعدىٰ لغيره فذلك كمثل القمر»[(١)].

«ولا تظن أن العالم المفضل عَارٍ عن العمل، ولا العابد عن العلم، بل إن علم ذلك غالب علىٰ عمله، وعمل هذا غالب علىٰ علمه؛ ولذلك جعل العلماء ورثة الأنبياء.

والمراد في هذه الأخبار بالعالم من صرف زمنه للتعليم وللإفتاء والتصنيف ونحو ذلك، وبالعابد من انقطع للعبادة تاركًا ذلك وإن كان عالمًا»[(٢)].

وفضل العالم علىٰ العابد كبير؛ لأنه وارث ميراث النبوة.

فعَن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَضلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضلِي عَلَىٰ أَدنَاكُم»**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّملَةَ فِي جُحرِهَا، وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيرَ»**[(٣)].

وقال الذهبي: «إنما كان العالم أفضل؛ لأن العالم إذا لم يكن عابدًا فعلمه وبال عليه.

---

(١) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٥٤٤) لسليمان أبا الخيل.

(٢) انظر: فيض القدير (٤/ ٤٣٣) للمناوي.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ٥٠رقم٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (رقم٢٦٨٥).

وأما العابد بغير فقه فمع نقصه هو أفضل بكثير من فقيه بلا تعبد كفقيه همته في الشغل بالرئاسة»[١].

وفي هذا الحديث بيان لخطأ ما يظنه بعض الناس أن العابد أفضل من العالم لكثرة عبادة العابد في الظاهر علىٰ العالم.

قال ابن الجوزي مبينًا تلبيس إبليس علىٰ العوام: «من تلبيسه عليهم: تقديمهم المتزهدين علىٰ العلماء، فلو رأوا جبة صوف علىٰ أجهل الناس عظموه خصوصًا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم، ويقولون أين هذا من فلان العالم، ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبة ولا رطبة ولا يتزوج قط؛ جهلًا منهم بفضل العلم علىٰ الزاهد، وإيثارًا للمتزهدين علىٰ شريعة محمد بن عبد الله ﷺ.

ومن نعمة الله ﷻ علىٰ هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفىٰ السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوىٰ والعسل لم يعظم في صدورهم»[٢].

ولهذا كان الازدياد من العلم أفضل من نفل العبادة؛ فعن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «**فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة**»[٣].

قال مطرف: «العلم أفضل من العمل، ألا ترىٰ أن الراهب يقوم الليل،

---

(١) فيض القدير (٤/ ٤٣٢) للمناوي.

(٢) تلبيس إبليس (٤٦٩).

(٣) أخرجه الشاشي في المسند (١/ ١٣٧رقم٧٥)، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب (١/ رقم٦٨).

فإذا أصبح أشرك»(١).

وقال عقيل بن خالد: «سئل الزهري: العلم أفضل أو العمل به؟ فقال: العلم أفضل من العمل لمن جهل، والعمل أفضل من العلم لمن علم»(٢).

ولذلك على العابد إذا أراد أن يتفرغ للعبادة أن يتفقه حتى يعبد الله على بصيرة.

قال أبو الدرداء: «لا يكون تقيًّا حتى يكون عالمًا، ولن يكون بالعلم جميلًا حتى يكون به عاملًا»(٣).

وقال الربيع بن خثيم: «تفقه ثم اعتزل»(٤).

وقال الزهري: «ما عُبد الله بمثل العلم»(٥).

وقال الخطيب: «لا تصح العبادة إلا بعد التفقه»(٦).

وقال ابن الجوزي: «اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس: هو الجهل؛ فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم.

---

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٠٩).

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٣٠٨رقم٤٦٩).

(٣) أخرجه وكيع في الزهد (٢/ ٤٦٨رقم٢٢٠).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في العزلة (٧٠رقم٣٦).

(٥) أخرجه معمر في الجامع (١١/ ٢٥٦رقم٢٠٤٧٩).

(٦) الفقيه والمتفقه (١/ ١٠٧).

فأول تلبيسه عليهم: إيثارهم التعبد علىٰ العلم، والعلم أفضل من النوافل، فأراهم أن المقصود من العلم العمل، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح، وما علموا أن العمل عمل القلب، وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح، فلما مرَّ عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح علىٰ العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم في فنون التعبد»(١).

فالجاهل يجتهد في أمر خلاف السنة يظنه خيرًا يكون به انحرافه.

قال الحسن بن صالح: «إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابًا من الخير يريد به بابًا من السوء»(٢).

والعبرة بالعلم مع التقوىٰ لا بكثرة العبادة؛ إذ كثرة العبادة لا تدل علىٰ كثرة العلم.

قال أبو أسامة: «قد يكون الرجل كثير الصلاة كثير الصوم ورعًا جائز الشهادة، في الحديث لا يسوىٰ ذه ورفع شيئًا ورمىٰ به»(٣).

ومن سأل العلماء رشد، ومن سأل العباد لا يأمن علىٰ نفسه الوقوع في الزلل؛ كما في قصة الرَّجُل الذي قَتَلَ تِسعَةً وَتِسعِينَ نَفسًا، فَسَأَلَ عَن أَعلَمِ أَهلِ الأَرضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فسأله فقال: لا توبة لك. فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.

ثُمَّ سَأَلَ عَن أَعلَمِ أَهلِ الأَرضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ

---

(١) تلبيس إبليس (١٦٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٣١).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٩).

مِائَةَ نَفسٍ فَهَل لَهُ مِن تَوبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَم، وَمَن يَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ التَّوبَةِ...»[١].

قال الحافظ: «فِيهِ إِشَارَة إِلَىٰ قِلَّة فِطنَة الرَّاهِب، لِأَنَّهُ كَانَ مِن حَقه التَّحَرُّز مِمَّن اِجتَرَأَ عَلَىٰ القَتل حَتَّىٰ صَارَ لَهُ عَادَة بِألا يُوَاجِههُ بِخِلَافِ مُرَاده، وَأَن يَستَعمِل مَعَهُ المَعَارِيض مُدَارَاة عَن نَفسه، هَذَا لَو كَانَ الحُكم عِنده صَرِيحًا فِي عَدَم قَبُول تَوبَة القَاتِل فَضلًا عَن أَنَّ الحُكم لَم يَكُن عِنده إِلَّا مَظنُونًا.

وَفِيهِ: فَضل العَالِم عَلَىٰ العَابِد؛ لِأَنَّ الَّذِي أَفتَاهُ أَوَّلًا بِأَن لَا تَوبَة لَهُ غَلَبَت عَلَيهِ العِبَادَة فَاستَعظَمَ وُقُوع مَا وَقَعَ مِن ذَلِكَ القَاتِل مِن اِستِجرَائِهِ عَلَىٰ قَتل هَذَا العَدَد الكَثِير ، وَأَمَّا الثَّانِي فَغَلَبَ عَلَيهِ العِلم فَأَفتَاهُ بِالصَّوَابِ وَدَلَّهُ عَلَىٰ طَرِيق النَّجَاة»[٢].

قلت: وفي الحديث بيان خطأ ما يعتقده بعض الناس أن العابد أعلم من العالم.

قال سفيان: «اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»[٣].

والعباد إذا غفلوا عن العلم كان ما يفسدون أكثر مما يصلحون سواء لأنفسهم أو لغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٢٨٠رقم٣٢٨٣)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢١١٨رقم ٢٧٦٦).

(٢) فتح الباري (٦/ ٥١٧).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٨رقم٧٥).

قال عمر بن عبد العزيز: «من عمل علىٰ غير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح»(١).

وقال ضرار بن عمرو: «والذي لا إله غيره ما عمل عامل قط علىٰ جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح»(٢).

وممن لا يؤخذ عنه العلم: من قلّ علمه من القراء:

عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الكِتَابِ وَاللَّبَنِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الكِتَابُ وَاللَّبَنُ؟ قَالَ: «**يَتَعَلَّمُونَ القُرآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَىٰ غَيرِ مَا أَنزَلَ اللهُ ﷻ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ فَيَدَعُونَ الجَمَاعَاتِ وَالجُمَعَ وَيَبدُونَ**»(٣).

وكتب أبو موسىٰ الأشعري إلىٰ عمر بن الخطاب: أنه قد قرأ القرآن عندنا عدد كذا وكذا، فكتب إليه عمر: أن افرض عليهم من بيت المال.

فلما كان في العام الثاني كتب إليه: أنه قد قرأ القرآن عندنا عدد كثير لأكثر من ذلك، فكتب إليه عمر: «أن امحهم من الديوان؛ فإني أخاف أن يسرع الناس في القرآن أن يتفقهوا في الدين فيتأولوه علىٰ غير تأويله»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٧٥رقم٣٥٠٩٨)، والدارمي في السنن (١/ ١٠٣ رقم٣٠٥).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٠٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم٢٧٧٨).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٣٩٣) لابن قيم الجوزية.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**سيأتي علىٰ أمتي زمان يكثر القراء ويقل الفقهاء، ويقبض العلم ويكثر الهرج**». قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي زمان يجادل المنافق المشرك المؤمن**»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة فإذا غيرت قالوا غيرت السنة؟

قالوا: متىٰ ذاك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[(٢)].

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «إن وجود المثقفين والخطباء المتحمسين لا يعوض الأمة عن علمائها، وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء[(٣)]، وهؤلاء قراء وليسوا فقهاء، فإطلاق لفظ العلماء علىٰ هؤلاء إطلاق في غير محله والعبرة بالحقائق لا بالألقاب، فكثير من يجيد الكلام ويستميل العوام وهو غير فقيه»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٥٢رقم٣٧١٥٦)، والدارمي في السنن (١/ ٧٥ رقم١٨٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص٧٤).

(٤) محاضرات في العقيدة والدعوة (٢/ ١٨٦-١٨٧).

وقال حُذَيفَة: «يا مَعشَرَ القُرَّاءِ استَقِيمُوا؛ فَقَد سَبَقتُم سَبقًا بَعِيدًا، فَإِن أَخَذتُم يَمِينًا وَشِمَالًا لقد ضَلَلتُم ضَلَالًا بَعِيدًا»[١].

وبَعَثَ أَبُو مُوسَىٰ الأَشعَرِيُّ إِلَىٰ قُرَّاءِ أَهلِ البَصرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيهِ ثَلَثُمِائَةِ رَجُلٍ قَد قَرَءُوا القُرآنَ، فَقَالَ: «أَنتُم خِيَارُ أَهلِ البَصرَةِ وَقُرَّاؤُهُم فَاتلُوهُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيكُم الأَمَدُ فَتَقسُوَ قُلُوبُكُم كَمَا قَسَت قُلُوبُ مَن كَانَ قَبلَكُم»[٢].

وكان السلف يطلقون علىٰ الخوارج القراء[٣]، كما جاء في قصة صفين قول أبي وائل لما جاء الخوارج لعلي بن أبي طالب يطالبونه باستمرار القتال: «جاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذٍ القراء وسيوفهم علىٰ عواتقهم...»[٤].

وقال أبو المِنهَالِ: «لَمَّا كان ابن زِيَادٍ وَمَروَانُ بالشام وَوَثَبَ ابن الزُّبَيرِ بِمَكَّةَ وَوَثَبَ القُرَّاءُ بِالبَصرَةِ...»[٥].

قال الحافظ: «قوله: (ووثب القراء بالبصرة) يريد الخوارج وكانوا قد ثاروا بالبصرة بعد خروج ابن زياد ورئيسهم نافع بن الأزرق...»[٦].

وضرر القراء الجهال كبير علىٰ المجتمع المسلم؛ إذ إن الناس يحبونهم

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٦/ ٢٦٥٦رقم٦٨٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/ ٧٢٦رقم١٠٥٠).

(٣) وكان السلف أيضًا يسمون أهل الدين والعلم القراء.

انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٩٥) لابن تيمية.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٥). وانظر: فتح الباري (٨/ ٥٨٨) للحافظ.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٦/ ٢٦٠٣رقم٦٦٩٥).

(٦) فتح الباري (١٣/ ٧٣).

فيكونون تبعًا لهم.

قال الخطابي: «إن فتنة من لا علم لهم من القراء فتنة عظيمة علىٰ الناس، والمؤونة في معاشرتهم علىٰ الخاصة مؤونة غليظة؛ وذلك أن جهلهم يحملهم علىٰ الإعجاب بأنفسهم وسيماهم، والظاهر من شمائلهم يدعو الجهال من العامة إلىٰ تعظيمهم والميل والتعصب لهم.

فمن رام من الخاصة إرشادهم وتعليمهم؛ فقد تعرض لملامهم واستهدف لسهامهم، فمداراتهم غصة وهجنة، ومكاشفتهم شهرة وفتنة، وشرهم طوائف من أصحاب العزلة والتبتل وأهل التصوف والتبطل؛ فإنهم جهال لا يتعلمون، ومردة لا ينقادون، قد ملك الشيطان قيادهم؛ فهم والعلم علىٰ تضاد وخلاف»(١).

وقد حصل نحو هذا في فتنة ابن الأشعث؛ فقد ذكر الحافظ ابن كثير أن الحجاج أمر بالحملة علىٰ كتيبة القراء؛ لأن الناس كانوا تبعًا لهم، وهم الذين يحرضونهم علىٰ القتال والناس يقتدون بهم(٢).

وممن لا يؤخذ عنه العلم: أهل الأهواء والبدع:

الطائفة المنصورة والفرقة الناجية هي التي تسير علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وأهل البدع والأهواء هم كل من خالف متعمدًا ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام.

---

(١) العزلة (٩٠).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٤٧).

فعن عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين ملة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار غير واحدة**»، قالوا: يا رسول الله ومن هي؟ قال: «**هي ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(١).

وعن العِربَاضِ بن سَارِيَةَ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صَلَاةَ الفَجرِ ثُمَّ وَعَظَنَا مَوعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَت منها العُيُونُ وَوَجِلَت منها القُلُوبُ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا.

فقال: «**أُوصِيكُم بِتَقوَى اللهِ، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ، وإن كان عَبدًا حَبَشِيًّا؛ فإنه من يَعِش مِنكُم بَعدِي فَسَيَرَى اختِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَالمُحدَثَاتِ؛ فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ** -وقال أبو عَاصِمٍ مَرَّةً: **وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإن كُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**-»(٢).

قال الشيخ صالح الفوزان: «كل من خالف جماعة أهل السنة فهو ضال،

---

(١) حسن لغيره، وقد سبق تخريجه (ص٣٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في السنن (٤/ ٢٠٠رقم٤٦٠٧)، والترمذي في السنن (٥/ ٤٤رقم٢٦٧٦)، والدارمي في السنن (١/ ٥٧رقم٩٥)، وابن ماجه في السنن (١/ ١٧رقم٤٤).

قال أبو عِيسَى: «هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ١/ ٥٢٧).

ما عندنا إلا جماعة واحدة هم أهل السنة والجماعة، وما خالف هذه الجماعة فهو مخالف لمنهج الرسولﷺ.

وكل من خالف أهل السنة والجماعة فهو من أهل الأهواء، والمخالفات تختلف في الحكم بالتضليل أو بالتكفير حسب كبرها وصغرها، وبعدها وقربها من الحق.

وكل من خالف أهل السنة والجماعة ممن ينتسب إلىٰ الإسلام في الدعوة، أو في العقيدة، أو في شيء من أصول الإيمان؛ فإنه يدخل في الاثنتين وسبعين فرقة، ويشمله الوعيد، ويكون له من الذم والعقوبة بقدر مخالفته»(١).

وعَن أَبِي أُمَيَّة الجُمَحِيِّ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**مِن أَشرَاط السَّاعَة أَن يُلتَمَس العِلم عِند الأَصَاغِر**»(٢).

قال ابن المبارك: «الأصاغر من أهل البدع»(٣).

وقال عبد الله: «قال: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا»(٤).

وسئل عبد الله بن المبارك عن معنىٰ هذا الأثر؟ فقال: «هم أهل البدع،

---

(١) الأجوبة المفيدة (٢٨، ٣٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٠رقم٦١).

والحديث جود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم٦٩٥).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٧).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥٧)، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٢١٧ رقم٢٧٥).

فأما صغير يؤدي إلىٰ كبيرهم فهو كبير»[١].

وقال إبراهيم الحربي في قوله: «لا يزالون بخير ما أتاهم العلم من قبل كبرائهم» معناه أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله والصحابة والتابعين فهو كبير والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير»[٢].

وقال الحسن وابن سيرين: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[٣].

وقال مالك: «لا تحمل العلم عن أهل البدع كلهم»[٤].

وقال مالك بن أنس: «لقد تركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم من العلم شيئًا، وإنهم لممن يؤخذ عنهم العلم وكانوا أصنافًا، فمنهم من كان يدين برأي سوء»[٥].

وقال مالك: «لا يؤخذ العلم من صاحب هوىٰ يدعو الناس إلىٰ هواه»[٦].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «ثلاثة لا يحمل عنهم: الرجل المتهم

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٥/ ٧٦رقم١٤١١).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٥رقم١٠٣).

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ١٢١رقم٤٠١)، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٧/ ١٧٢).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٨٢).

(٥) أخرجه الحاكم في المدخل إلىٰ الإكليل (٤٨)، وأبو نعيم في المسند المستخرج علىٰ صحيح مسلم (١/ ٥٤ رقم ٤٦)، وفي حلية الأولياء (٦/ ٣٢٢).

(٦) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٦٨٤)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٣)، وابن عدي في الكامل (١/ ٩١)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٤١، ٧٧).

بالكذب، والرجل كثير الوهم والغلط، ورجل صاحب هوىٰ يدعو إلىٰ بدعة»(١).

وقال الإمام أحمد: «أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم، ولا يخالطهم، ولا يأنس بهم»(٢).

وقال البربهاري: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رءوسهم وأبدانهم في التراب ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»(٣).

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، [وأهل البدع أجمع أضربوا عن السنن وتأولوا الكتاب علىٰ غير ما بينت السنة فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الخذلان ونسأله التوفيق والعصمة برحمته](٤)، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»(٥).

وقال البغوي: «قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة علىٰ هذا، مجمعين متفقين علىٰ معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»(٦).

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٧٥رقم٤٩٥).

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤).

(٤) تضمين من كلام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩٣).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦).

(٦) شرح السنة (١/ ٢٢٧).

وقال **الشيخ صالح الفوزان**: «لا يجوز الأخذ عن المنحرفين في العقيدة بشرك أو تعطيل، ولا الأخذ عن المبتدعة والمنحرفين وإن سموا علماء»[١].

ومن أضرار مجالسة أهل البدع وأخذ العلم عنهم:

١- انغماس الآخذ عنهم في بدعتهم، وتعلق قلبه بهم ومحبته لهم:

فعادة أهل البدع أنهم يلبسون الباطل لباس الحق.

قال أبو قِلَابَةَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهلَ الأَهوَاءِ ولا تُجَادِلُوهُم؛ فَإِنِّي لَا آمَنُ أن يَغمِسُوكُم في ضَلَالَتِهِم أو يَلبِسُوا عَلَيكُم ما كُنتُم تَعرِفُونَ»[٢].

ودخل رَجُلَانِ من أَصحَابِ الأَهوَاءِ علىٰ ابن سِيرِينَ فَقَالَا: يا أَبَا بَكرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قال: لَا. قالا: فَنَقرَأُ عَلَيكَ آيَةً من كِتَابِ اللهِ؟ قال: لَا، لِتَقُومَانِ عَنِّي أو لَأَقُومَنَّ.

قال: فَخَرَجَا فقال بَعضُ القَومِ: يا أَبَا بَكرٍ وما كان عَلَيكَ أن يقرآ عَلَيكَ آيَةً من كِتَابِ اللهِ تعالىٰ؟ قال: إني خَشِيتُ أن يقرآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا فَيَقِرُّ ذلك في قَلبِي[٣].

وقال ابن بطة: «اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقوامًا من السنة والجماعة، واضطرهم إلىٰ البدعة والشناعة، وفتح باب البلية علىٰ

(١) الأجوبة المفيدة (٢٥٤).

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ١٢٠رقم٣٩١)، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٧/ ١٨٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٧/ ١٩٧)، والدارمي في السنن (١/ ١٢٠رقم٣٩٧).

أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته»[١].

وقال مغيرة: «خرج محمد بن السائب، وما كان له هوىٰ فقال: اذهبوا بنا حتىٰ نسمع قولهم، فما رجع حتىٰ أخذ بها، وعلقت قلبه»[٢].

وقال ابن بطة: «الله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدًا منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه علىٰ المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم، فجالسوهم علىٰ سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتىٰ صبوا إليهم»[٣].

وقال ابن الجوزي لما ذكر المعتزلة وغيرهم والفلاسفة: «الله الله من مصاحبة هؤلاء، ويجب منع الصبيان من مخالطتهم لئلَّا يثبت في قلوبهم من ذلك شيء، واشغلوهم بأحاديث رسول الله ﷺ لتعجن بها طبائعهم»[٤].

---

(١) الإبانة (١/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧١رقم٤٤٩، ٤٧٩، ٤٨٠).

(٣) الإبانة (٢/ ٤٧٠).

(٤) السر المكتوم (٣/ ٥٥٠-الآداب الشرعية).

٢- ومنها: ما في مجالستهم من إغراء للعامة بصحة ما هم عليه بتكثير سواد أهل البدعة:

فمن مذهب أهل السنة والجماعة السلف الصالح: هجر المبتدع، وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سنة؛ لئلَّا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتىٰ يعلم الناس أنهم أهل البدعة.

ولئلَّا يكون مجالستهم ذريعة إلىٰ ظهور بدعتهم، والخوض في الكلام المذموم، ومجانبة أهله محمودة؛ ليعلم أنهم ناكبون عن طريق الصحابة - رضوان الله عليهم - [1].

قال ابن عون: «من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع»[2].

وقال سفيان الثوري: «من جالس صاحب بدعة لم يسلم من أن يكون فتنة لغيره...»[3].

ومن صحب أهل البدع حذّر منهم، فإن تركهم، وإلا ألحق بهم ولا كرامة.

فقد سأل أَبُو دَاوُد الإمام أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ: «أَرَىٰ رَجُلًا مِن أَهلِ السُّنَّةِ مَعَ رَجُلٍ مِن أَهلِ البِدعَةِ أَترُكُ كَلَامَهُ؟

فقَالَ: لَا، أَو تُعلِمُهُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيته مَعَهُ صَاحِبُ بِدعَةٍ، فَإِن تَرَكَ

(١) انظر: الحجة (٢/ ٥٠٨-٥٠٩، ٥٢٨) لقوام السنة، وإجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء (٨٣-١٥٢) لخالد بن ضحوي الظفيري.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٧٣ رقم٤٨٦).

(٣) أخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع (١٠٤ رقم١٢٧).

كَلَامَهُ فَكَلِّمهُ، وَإِلَّا فَأَلحِقهُ بِهِ»(١).

وقال البربهاري: «إذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه فإنه صاحب هوىٰ»(٢).

وسئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي يثني علىٰ أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟

فأجاب: «نعم ما فيه شك، من أثنىٰ عليهم ومدحهم هو داع إليهم، هو من دعاتهم، نسأل الله العافية»(٣).

٣- ومنها: أن مجالسة المبتدعة تسلب الحكمة وتوجب الإعراض عن الحق:

قال ابن عباس: «لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب»(٤).

وقال إبراهيم: «لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البغضة في قلوب المؤمنين»(٥).

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في طبقات الحنابلة (١/ ١٦٠)، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد بن حنبل (١٨٢).

(٢) شرح السنة (١١٢رقم١٤٥).

(٣) شرح فضل الإسلام (١٠).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٥٢رقم١٣٣).

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٣٩رقم٣٧٥).

وقال عمرو بن قيس: «كان يقال: لا تجالس صاحب زيغ، فيزيغ قلبك»(١).

وقال الفضيل بن عياض: «احذروا الدخول علىٰ صاحب البدع؛ فإنهم يصدون عن الحق»(٢).

وقال الفضيل بن عياض أيضًا: «من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون علىٰ أحاديث النبي والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا علىٰ السنة، ولا علىٰ إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون علىٰ العقل واللغة.

وتجدهم لا يعتمدون علىٰ كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف؛ وإنما يعتمدون علىٰ كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رءوسهم.

وهذه طريقة الملاحدة أيضًا؛ إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها، هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء؛ إذ هي عندهم لا تفيد العلم، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي وأصحابه»(٤).

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٣٦، ٣٩٠رقم٣٦٦، ٤٤٣).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٧رقم٢٦١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٦٠رقم٤٣٩).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١١٩).

ومن لا يؤخذ عنه العلم: المفكرون وفقهاء الواقع السياسيون:

«(الفكر الإسلامي) هذه الكلمة تعني ما يفرزه العقل من الأفكار، والإسلام وحي وليس بفكر، والفكر ليس بمعصوم، وكذا كلمة (التصور الإسلامي)؛ لأن التصور مصدره الفكر المحتمل للصدق والكذب»[(١)].

و«الكتب الفكرية تؤثر في طريقة الكلام، وتؤثر في طريقة التفكير، وتؤثر في طريقة التعامل مع النصوص الشرعية، وتؤثر في الفهم، وهي في حقيقتها تقديم للعقل علىٰ النقل، وكأن النقل نصوص مجردة عن الفهم فهم يكيفون النصوص ويفهمونها علىٰ أهوائهم، كما أنها ردٌّ لمنهج السلف وفهمهم للنصوص الشرعية»[(٢)].

وهم في الحقيقة أهل أهواء وبدع، ولكن أفردوا للباسهم لباس العلم وإلا فهم من أهل البدع عند أهل النظر.

قال عَلِيٌّ ﷺ: «لَو كَانَ الدِّينُ بِالرَّأيِ لَكَانَ أَسفَلُ الخُفِّ أَولَىٰ بِالمَسحِ مِن أَعلاَهُ، وَقَد رَأَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمسَحُ عَلَىٰ ظَاهِرِ خُفَّيهِ»[(٣)].

---

(١) وقد أنكرها العلامة ابن باز -رحمه الله تعالىٰ- كما في الفتاوىٰ (٩/ ٢٣٥)، وكذا الشيخ ابن عثيمين كما في الفتاوىٰ (٣/ ٨١، ٩٩، ١٢٠).

وانظر: معجم المناهي اللفظية (٣٧٢) لبكر أبو زيد.

(٢) استفدته من أخي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بن عمر بازمول -جزاه الله خيرًا-.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (١/ ٤٢رقم١٦٢)، والدارقطني في السنن (١/ ٢٠٤)، وإسناده صحيح.

وقال أبو الزناد: «إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرًا علىٰ خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بدًّا من اتباعها، من ذلك: أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة»(١).

وقال الأوزاعي: «يا بقية، العلم ما جاء عن أصحاب محمدﷺ، وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم»(٢).

وقال عبد الله بن داود الخريبي: «ليس الدين بالكلام، إنما الدين بالآثار»(٣).

وقال أحمد بن حنبل: «رأي الشافعي، ورأي مالك، ورأي سفيان كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار»(٤).

وقال إسحاق بن حبة الأعمش: سئل الإمام أحمد عن الخطرات والوساوس؟ فقال: «ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون»(٥).

وقال سعيد بن عمرو البرذعي: «شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات،

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٣٢رقم٦٥٨).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٠١).

(٣) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٦٦)، وأبو محمد الطامذي في جزء من فوائده (٤٣رقم٣٢).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٤٨)، وابن حزم في الإحكام (٦/ ٢٢١).

(٥) أخرجه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (١٧٩).

عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب.

قيل له: في هذه الكتب عبرة.

قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء، هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق.

ثم قال: ما أسرع الناس إلىٰ البدع!»(١).

وقال البربهاري: «اعلم -رحمك الله- أن الدين إنما جاء من قِبَل الله -تبارك وتعالىٰ-، لم يُوضع علىٰ عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئًا بهواك»(٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان عن المفكرين: «ليس عندهم علم بالأحكام الشرعية؛ وإنما عندهم ثقافة عامة، لا تفرق بين صحيح وسقيم في العقيدة، ولا تفرق بين بدعي وسني»(٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان أيضًا: «فساد الفكر أشد من المرض العضال؛ لأن المرض العضال يقضي علىٰ الجسم، والموت لابد منه.

---

(١) أخرجه الخطيب في التاريخ (٨/ ٢١٥).

(٢) شرح السنة (٦٠رقم٥).

(٣) البيان لأخطاء بعض الكتاب (٢/ ١٣٨).

لكن المشكل أن مرض الدماغ ومرض الفكر يقضي علىٰ الدين، ويقضي علىٰ العقيدة، ولا يكون بعده سعادة أبدًا إلا إذا منَّ الله علىٰ صاحبه وتاب إلىٰ الله، فإن الله علىٰ كل شيء قدير، ولكن يصعب علىٰ أمثال هؤلاء أنهم يتوبون؛ لأنهم تغلغل الفكر في أذهانهم»[١].

ويدخل في المفكرين: ما يعرف بفقهاء الواقع، والحركيين الإسلاميين السياسيين، ودعاة الصحوة[٢]:

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين أيضًا: «لا شك أن فقه الواقع أمر مطلوب، وأن الإنسان لا ينبغي أن يكون في عزلة عما يقع حوله وفي بلده، بل لابد أن يفقه، لكن لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يكون الاشتغال بفقه الواقع مشغلًا عن فقه الشريعة والدين الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[٣].

لم يقل: يفقهه في الواقع؛ فإذا كان عند الإنسان علم بما يقع حوله لكنه قد صرف جهده وجل أمره إلىٰ الفقه في دين الله فهذا طيب، أما أن ينشغل بالواقع والتفقه فيه -كما زعم-، والاستنتاجات التي يخالفها ما يقع فيما بعد؛

---

(١) الأجوبة المفيدة (٣٦).

(٢) **قال الشيخ صالح الفوزان في الأجوبة المفيدة (١٣٥)**: «أنا لي تحفّظ علىٰ استعمال هذه الكلمة (الصحوة الإسلامية)، وقد نُشرت في الصحف أكثر من مرّة؛ لما فيها من جحود لجهود العلماء المصلحين المستمرّة في كل زمان، وجحود للبقايا الصالحة من هذه الأمة، التي لا تخلو منها الأرض إلىٰ قيام الساعة».

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٣٩ رقم ٧١)، ومسلم في الصحيح (٢/ ٧١٨ رقم ١٠٣٧).

لأن كثيرًا من المشتغلين بفقه الواقع يقدمون حسب ما تمليه عليهم مخيلتهم، ويقدرون أشياء يتبين أن الواقع بخلافها، فإذا كان فقه الواقع لا يشغله عن فقه الدين فلا بأس به.

لكن لا يعني ذلك أن نقلل من شأن علماء يشهد لهم بالخير وبالعلم وبالصلاح لكنهم يخفىٰ عليهم بعض الواقع فإن هذا غلط عظيم؛ فعلماء الشريعة أنفع للمجتمع من علماء فقه الواقع؛ ولهذا تجد بعض العلماء الذين عندهم اشتغال كثير في فقه الواقع وانشغال عن فقه الدين لو سألتهم عن أدنىٰ مسألة في دين الله ﷻ لوقفوا حيارىٰ، أو تكلموا بلا علم يتخبطون تخبطًا عشوائيًّا.

والتقليل من شأن العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالإيمان والعلم الراسخ جناية ليس علىٰ هؤلاء العلماء بأشخاصهم، بل علىٰ ما يحملونه من شريعة الله تعالىٰ.

ومن المعلوم: أنه إذا قلت هيبة العلماء وقلت قيمتهم في المجتمع فسوف يقل بالتبع الأخذ عنهم، وحينئذٍ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها، ويكون في هذا جناية عظيمة علىٰ الإسلام وعلىٰ المسلمين أيضًا.

والذي أرىٰ: أنه ينبغي أن يكون عند الإنسان اجتهاد بالغ، ويصرف أكبر همه في الفقه في دين الله ﷻ حتىٰ يكون ممن أراد الله بهم خيرًا، وألا ينسىٰ نفسه من فقه الواقع، وأن يعرف ما حوله من الأمور التي يعملها أعداء الإسلام للإسلام.

ومع ذلك أكرر: أنه لا ينبغي للإنسان أن يصرف جل همه ووقته للبحث عن الواقع، بل أهم شيء أن يفقه في دين الله ﷻ، وأن يفقه من الواقع ما يحتاج إلىٰ معرفته فقط.

وكما أشرت سابقًا في أول الجواب: أن من فقهاء الواقع من أخطئوا في ظنهم وتقديراتهم وصار المستقبل علىٰ خلاف ما ظنوا تمامًا، لكن هم يقدرون، ثم يبنون الأحكام علىٰ ما يقدرونه فيحصل بذلك الخطأ.

وأنا أكرر: أنه لابد أن يكون الفقيه بدين الله عنده شيء من فقه أحوال الناس وواقعهم حتىٰ يمكن أن يطبق الأحكام الشرعية علىٰ مقتضىٰ ما فهم من أحوال الناس؛ ولهذا ذكر العلماء في باب القضاء: أن من صفات القاضي أن يكون عارفًا بأحوال الناس ومصطلحاتهم في كلامهم وأفعالهم»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «الاشتغال بالمحاضرات العامة والصحافة وبما يدور في العالم، دون علم بالعقيدة، ودون علم بأمور الشرع تضليل وضياع، ويصبح صاحبها مشوش الفكر؛ لأنه استبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، والله ﷻ أمرنا بتعلم العلم النافع أولًا قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[٢].

وأما الاشتغال بواقع العصر كما يقولون أو فقه الواقع، فهذا إنما يكون بعد الفقه الشرعي، إذا تفقه الإنسان بالفقه الشرعي فإنه ينظر في واقع الناس،

---

(١) العلم (٢٢٤-٢٢٦).

(٢) (محمد:١٩).

وما يدور في العالم وما يأتي من أفكار ومن آراء، ويعرضها علىٰ العلم الشرعي الصحيح؛ ليميز خيرها من شرها، وبدون العلم الشرعي فإنه لا يميز بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال.

فالذي يشتغل بادئ ذي بدء بالأمور الثقافية، والأمور الصحفية، والأمور السياسية، وليس عنده بصيرة من دينه، فإنه يضل بهذه الأمور؛ لأن أكثر ما يدور فيها ضلال ودعاية للباطل، وزخرف من القول وغرور، نسأل الله العافية والسلامة»[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان أيضًا: «قبض العلم إنما يكون بموت العلماء: هو ما أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[2].

والله هذا هو الواقع اليوم، الآن رءوس جهال يتكلمون بأحكام الشريعة ويوجهون الناس ويحاضرون ويخطبون، وليس عندهم من العلم والفقه شيء، إنما عندهم تهريج، وتهييج، قال فلان وقال فلان، شغلوا الناس بالقيل والقال، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ: «**اتخذ الناس رءوسًا جهالًا**».

ومع الأسف يسميهم الناس علماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، في حين لو تسأله عن نازلة من النوازل أو حكم شرعي فإنه لا يستطيع أن يجيبك

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/ ٤١).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (١٣).

بجواب صحيح، لأنه يقول هذا ليس بعلم، العلم هو الثقافة السياسية وفقه الواقع، فحُرِموا العلم والعياذ بالله، نسأل الله العافية»[١].

وممن لا يؤخذ عنه العلم: الفساق ولو كثر علمهم:

قال الخطيب: «إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه وإجهاد النفس علىٰ العمل بموجبه؛ فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يُعد عالمًا من لم يكن بعلمه عاملًا.

وقيل: العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما نمت مستوحشًا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرًا في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قلَّ نصيبك منهما.

وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلىٰ عبادته، والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجىٰ في العاقبة إذا تفضل الله بالرحمة وتمم علىٰ عبده النعمة.

فأما المدافعة والإهمال وحب الهوينىٰ والاسترسال، وإيثار الخفض والدعة، والميل مع الراحة والسعة؛ فإن خواتم هذه الخصال ذميمة، وعقباها كريهة وخيمة»[٢].

وقال ابن عبد البر: «قد ذم الله في كتابه قومًا كانوا يأمرون الناس بأعمال

(١) الأجوبة المفيدة (١٧٨).

(٢) اقتضاء العلم العمل (١٤).

البر ولا يعملون بها ذمًّا وبخهم الله بها توبيخًا يتلىٰ علىٰ طول الدهر إلىٰ يوم القيامة؛ فقال: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [(١)]»[(٢)].

وعن أُسَامَةَ بن زَيدٍ سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «يُؤتَىٰ بِالرَّجُلِ يوم القِيامَةِ فَيُلقَىٰ في النَّارِ فَتَندَلِقُ أَقتَابُ بَطنِهِ فَيَدُورُ بها كما يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَىٰ، فَيَجتَمِعُ إليه أَهلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يا فُلَانُ، مالك أَلَم تَكُن تَأمُرُ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَىٰ عن المُنكَرِ؟ فيقول: بَلَىٰ، قد كنت آمُرُ بِالمَعرُوفِ ولا آتِيهِ، وَأَنهَىٰ عن المُنكَرِ وَآتِيه»[(٣)].

وعن جُندُبِ بن عبد اللهِ الأَزدِيِّ قال رسول اللهِ ﷺ: «مَثَلُ العَالِمِ الذي يُعَلِّمُ الناس الخَيرَ وينسَىٰ نَفسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ ويُحرِقُ نَفسَهُ»[(٤)].

---

(١) (البقرة:٤٤).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١١٩١رقم٣٠٩٤)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢٢٩٠رقم ٢٩٨٩).

فائدة: قال الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٨٦): «ذهب بعضهم إلىٰ أن مرتكب المعاصي لا ينهىٰ غيره عنها وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهي عن المنكر وإن ارتكبه».

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد (٤/ ٢٩٣رقم٢٣١٤). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١رقم١٣١).

قال ابن عيينة: «العلم إن لم ينفعك ضرك»(١).

قال الخطيب: «يعني: إن لم ينفع بأن يعمل به ضره بكونه حجة عليه»(٢).

وقال الخطيب: «علماء المسلمين لم يختلفوا في أن الفاسق غير مقبول الفتوىٰ في أحكام الدين، وإن كان بصيرًا بها»(٣).

وقال مالك بن دينار: «لأنا للقارئ الفاجر أخوف مني من الفاجر المبرز بفجوره إن هذا أبعدهما غورًا»(٤).

وقال ابن إدريس: «لا يُسمع الحديث ممن شرب مسكرًا، لا ولا كرامة»(٥).

وقال سفيان الثوري: «الأعمال السيئة داء والعلماء دواء؛ فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء»(٦).

وقال الشعبي: «اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين؛ فإنهما آفة لكل مفتون»(٧).

---

(١) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (٢٤)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل (٥٥رقم٨٤).

(٢) اقتضاء العلم العمل (٥٥).

(٣) الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٣٠).

(٤) أخرجه أبو حاتم في الزهد (٥٥رقم٤٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٧٠).

(٥) أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٩)، ومن طريقه الهروي في ذم الكلام (٤/ ٢٤٣ رقم١٠٧١).

(٦) أخرجه حلية الأولياء (٦/ ٣٦١).

(٧) أخرجه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (٣٣٥رقم٥٤٣)، وفي شعب الإيمان (٢/ ٣٠٨رقم١٨٩٧).

قال سفيان الثوري: «العلماء ثلاثة:

عَالِمٌ بِاللهِ يَخشَىٰ اللهَ ليس بِعَالِمٍ بِأَمرِ اللهِ.

وَعَالِمٌ بِاللهِ عَالِمٌ بِأَمرِ اللهِ يَخشَىٰ اللهَ؛ فَذَاكَ العَالِمُ الكَامِلُ.

وَعَالِمٌ بِأَمرِ اللهِ ليس بِعَالِمٍ بِاللهِ لَا يَخشَىٰ اللهَ؛ فَذَلِكَ العَالِمُ الفَاجِرُ»(١).

وقال الزهري: «لا يوثق للناس عمل عامل لا يعلم، ولا يرضىٰ بقول عالم لا يعمل»(٢).

وقال مالك: «لا يحتمل العلم عمَّن يكذب في حديث الناس وإن كان في حديث رسول الله ﷺ صادقًا؛ لأن الحديث والعلم إذا سمع من العالم فإنما قد جعل حجة بين الذي سمعه وبين الله تعالىٰ»(٣).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «ثلاثة لا يحمل عنهم: الرجل المتهم بالكذب، والرجل كثير الوهم والغلط، ورجل صاحب هوىٰ يدعو إلىٰ بدعة»(٤).

وقال هَرِم بن حَيَّانَ: «إِيَّاكُم وَالعَالِمَ الفَاسِقَ. فَبَلَغَ عُمَرَ بن الخَطَّابِ فَكَتَبَ إليه وَأَشفَقَ منها ما العَالِمُ الفَاسِقُ، قال: فَكَتَبَ إليه هَرِمٌ: يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ والله ما أَرَدتُ بِهِ إلا الخَيرَ، يَكُونُ إِمَامٌ يَتَكَلَّمُ بِالعِلمِ وَيَعمَلُ بِالفِسقِ

(١) تقدم تخريجه (ص٥٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٦٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٨٢).

(٤) تقدم تخريجه (ص٩٢).

فَيُشَبِّهُ علىٰ الناس فيضلون»[١].

وعلق عليه الذهبي بقوله: «إنما أنكر عليه عمر؛ لأنهم لم يكونوا يعدون العالم إلا من عمل بعلمه»[٢].

وقال ابن قيم الجوزية: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلابد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس، ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا.

فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة، متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق...

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة علىٰ أن يؤثروا الدنيا علىٰ الآخرة.

وطريق ذلك: أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها.

وهؤلاء لابد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل؛ فيجتمع لهم الأمران؛ فإن إتباع الهوىٰ يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرىٰ البدعة سنة والسنة بدعة؛ فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ١٠٢رقم٣٠٠)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٣٣).

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ٥٣٤).

الرياسات والشهوات»(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا تأخذ دينك إلا عن عالم تقي؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (٢) فخذ من العلماء الذين يخشون الله بشرطين: أن يكون عالمًا، وأن يكون يخشىٰ الله.

فإن كان عالمًا لا يخشىٰ الله فلا تأخذ عنه، وإن كان يخشىٰ الله لكنه ليس بعالم فلا تأخذ عنه»(٣).

ز- يستوي في تحريم أخذ العلم منهم: السماع والحضور والقراءة والصحبة وأي نوع من أنواع التلقي والخلطة.

ولا فرق في تحريم أخذ العلم وتلقيه -ممن لا يجوز أخذ العلم عنهم- بأي طريقة كانت سواء كان بالحضور والاستماع، أو كان بالقراءة والاطلاع، أو كان بالصحبة والمخالطة، قلَّ ذلك أو كثُر.

بل رأىٰ إمام أهل السنة حبس أهل البدع الداعين إليها؛ صيانة للمجتمع من خطرهم وضررهم، وحماية لحياض الدين.

قال عبد الله: «سألت أبي عن رجل ابتدع بدعة يدعو إليها و له دعاة عليها هل ترىٰ أن يحبس؟

---

(١) الفوائد (١٠٠).

(٢) (فاطر:٢٨).

(٣) توجيهات مهمة لشباب الأمة (٢٩).

وانظر: الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (١٠٤) لابن عثيمين.

قال: نعم أرىٰ أن يحبس و تكف بدعته عن المسلمين»[١].

وقال ابن هانئ عن الإمام أحمد أنه سئل عن النظر في كتب الرأي؟ فقال: «لا تنظر في شيء من الرأي و لا تجالسهم»[٢].

وقال الخطابي: «إن دلائل الكتاب والسنة والقياس متضافرة علىٰ جواز هجران من لا تُؤمن بوائقه والتباعد منه، بل هو الواجب علىٰ كل أحد من الناس»[٣].

وقال البغوي: «قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة علىٰ هذا، مجمعين متفقين علىٰ معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»[٤].

وقال ابن مفلح: «ويحرم النظر فيما يخشىٰ منه الضلال والوقوع في الشك والشبهة، ونص الإمام أحمد -رحمه الله ورضي عنه- علىٰ المنع من النظر في كتب أهل الكلام والبدع المضلة وقراءتها وروايتها»[٥].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «من هجران أهل البدع: ترك النظر في كتبهم خوفًا من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب.

---

(١) المسائل (٤٣٩رقم١٥٩٠).

(٢) المسائل (٢/ ١٦٦رقم١٩١٩).

(٣) العزلة (٢٢).

(٤) شرح السنة (١/ ٢٢٧).

(٥) الآداب الشرعية (١/ ٢١٩).

وانظر: مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٣٣٦) لابن تيمية.

لكن إذا الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به، وكان قادرًا علىٰ الرد عليهم، بل ربما كان واجبًا؛ لأن رد البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[1].

وقال الشيخ العلامة أحمد النجمي: «لا ينبغي لأهل السنة أن يحضروا محاضرات الحزبيين، ولا دروسهم خوفًا من الفتنة عليهم[2].

ولا ينبغي أن يقرأ كتب المبتدعة ولا يسمع أشرطتهم؛ لأنهم يدسون السم في العسل كما يقال، ومن لا يكون عنده أهلية كاملة؛ فإنه ربما سمع الشيء لا يعرفه فيقع منه ما يقع.

والمهم أنه لا يقرأ كتب أهل البدع إلا ما يريد الاستدلال منها عليهم من المشايخ النابهين والمتأهلين، حتىٰ إن المشايخ لا ينبغي لهم أن يكثروا من النظر في كتب المبتدعة؛ فإن في هذا خطرًا عليهم، وفي قصة القصيمي عبرة لكل عاقل يخشىٰ الله ويؤمن أن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء»[3].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا يجوز قراءة كتب المبتدعة ولا سماع أشرطتهم إلا لمن يريد أن يرد عليهم، ويبين ضلالهم.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٨٩).

وانظر: إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء (٧٦) لخالد بن ضحوي الظفيري.

(٢) الفتاوىٰ الجلية (٢/ ٧٥).

(٣) الفتاوىٰ الجلية (٢/ ٧٣).

أما الإنسان المبتدئ وطالب العلم أو العامي أو الذي لا يقرأ إلا لأجل الاطلاع فقط، لا لأجل الرد وبيان حالها، فهذا لا يجوز له قراءتها؛ لأنها قد تؤثر في قلبه وتشبه عليه فيصاب بشرها.

فلا يجوز قراءة كتب أهل الضلال إلا لأهل الاختصاص من أهل العلم للرد عليها والتحذير منها»(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان أيضًا: «الواجب الابتعاد عن أهل البدع، والسلف كانوا ينهون عن مجالسة المبتدعة وزيارتهم والذهاب إليهم؛ خشية أن يسري شرهم علىٰ من جالسهم وخالطهم»(٢).

* * *

(١) الأجوبة المفيدة (١٢٥).

(٢) الأجوبة المفيدة (١٦٦).

المقصد الرابع: شبهات وردود

لم يكتفِ أهل الباطل بنشر باطلهم، بل قاموا بإثارة شبهات وشكوك في الحق وأهله، نصرة لباطلهم، وطعنًا في أهل العلم السلفيين، وهذا ديدن أهل الباطل في نصرتهم لباطلهم!

وذلك علىٰ وجهين:

الأول: إيراد الشبهات.

والثاني: مدافعة الحجة من غير حجة [١].

والشبهات هي: «الشكوك التي توقع في اشتباه الحق بالباطل؛ فيتولد عنها الحيرة والريبة» [٢].

وخطورة الشبهة: لإحالتها بين القلب وبين قبول الحق، وتلبيسها الباطل في صورة الحق.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٥/ ٧٠).

وللشيخ محمد بازمول رسالة بعنوان: وسائل أهل الباطل في تقرير باطلهم.

(٢) كما عرفها ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين (٣/ ٤٨٧).

والثاني: أنها تظهر الباطل في صورة الحق؛ فيلتبس الحق بالباطل.

وعلاج الشبهة بالعلم الشرعي الموصل على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

قال ابن قيم الجوزية: «الشبهة: وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له، فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه، بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها.

ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة، فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير شاكًّا مرتابًا.

وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها؛ فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل»[1].

وقال ابن سحمان: «العجب كل العجب ممن يصغي ويأخذ بأقوال أناس ليسوا بعلماء ولا قرءوا على أحد من المشايخ، فيحسنون الظن بهم فيما يقولونه وينقلونه، ويسيئون الظن بمشايخ أهل الإسلام وعلمائهم الذين هم أعلم منهم بكلام أهل العلم، وليس لهم غرض في الناس إلا هدايتهم وإرشادهم إلى الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

أما هؤلاء المتعالمون الجهال فكثير منهم خصوصًا من لم يتخرج على

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

وانظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥) لابن قيم الجوزية.

العلماء منهم، وإن دعوا الناس إلىٰ الحق فإنما يدعون إلىٰ أنفسهم؛ ليصرفوا وجوه الناس إليهم، طلبًا للجاه والشرف والترؤس علىٰ الناس، فإذا سئلوا أفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»[1].

وسأذكر الشبهة وأبين معناها ومغزاها، ثم أذكر أوجه بطلانها وفسادها من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، ومن تبعهم بإحسان من أهل العلم والإيمان.

* * *

شبهة: لا يصلح أن يجلس الشباب إلى العلماء الكبار؛ لأن طعام الكبار سم الصغار!!

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن بعض الناس الذين يقومون بتربية الشباب، ويتولون قيادتهم حركيًا، يمنعون الشباب من حضور دروس العلماء، بحجة أن الشباب يتضررون من المسائل العلمية الكبيرة التي يسمعونها من العلماء الكبار، كما يتضرر الطفل الصغير من طعام الكبير لعدم قدرته علىٰ هضمه.

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: يقال تنزلًا: أيهما أولىٰ: أن يحضر الشباب عند أنصاف المتعلمين أو المتعالمين أو الجهال، أم عند العلماء الكبار؟

فلا شك أن حضورهم عند العلماء أولىٰ وأحرىٰ.

---

(١) منهاج أهل الاتباع (٢٤)

ثانيًا: أن النبي ﷺ كان يعلم الناس كافة، ولم يميز بين صغير أو كبير، ولم يمنع الصغار من حضور مجالسه(١).

ثالثًا: بل كان النبي ﷺ يخاطب الصغار بالمسائل العظيمة ويربيهم عليها.

ويدل علىٰ ذلك: ما حدث به عبد الله بن عباس أنه رَكِبَ خَلفَ رسول اللهِ ﷺ يومًا فقال له رسول اللهِ ﷺ: **«يا غُلامُ إني مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللهَ يَحفَظكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، وإذا سَألتَ فَلتَسأَلِ اللهَ، وإذا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللهِ.**

وَاعلَم أن الأُمَّةَ لَوِ اجتَمَعُوا علىٰ أن يَنفَعُوكَ لم يَنفَعُوكَ إلا بشيء قد كَتَبَهُ الله لك، وَلَوِ اجتَمَعُوا علىٰ أن يَضُرُّوكَ لم يَضُرُّوكَ إلا بشيء قد كَتَبَهُ الله عَلَيكَ، رُفِعَتِ الأَقلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٢).

رابعًا: أن هذه السنة سار عليها العلماء، وسار عليها السلف الصالح.

قال عمر بن الخطاب: «قد علمت متىٰ صلاح الناس ومتىٰ فسادهم إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصىٰ عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل

---

(١) انظر: التاريخ لأبي زرعة (١/ ٥٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣) و(١/ ٣٠٣)، والترمذي في السنن (٤/ ٦٦٧رقم ٢٥١٦).

قال الترمذي: «هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم٢٣٨٢).

الكبير تابعه الصغير فاهتديا».

خامسًا: أن هذه الشبهة أثيرت وألقيت في روع الشباب؛ لأن من خطط دعاة الضلالة وأهل المناهج الفاسدة تنفير الشباب من العلماء وتزهيدهم فيهم؛ لاحتواء الشباب وبثِّ أفكارهم.

ولئلَّا يسمع الشباب من العلماء ما ينقض ويرد ويهدم مناهجهم ومذاهبهم الفاسدة؛ لأن الشاب إذا سمع من العالم بخلاف ما يقوله المربي أو المنظم أو المرشد أو المشرف علىٰ الجماعة؛ فسيرد كلامه فيؤثر في السمع والطاعة لهم.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «كم يحاول أعداء الإسلام، وكم يحاول شياطين الإنس والجن أن يفصلوا بين الأمة وبين علمائها، وأن يوقعوا العداوة بينهم من أجل أن يتمكن الأشرار من قيادة الأمة إلىٰ الهلاك!

فلنحذر من هذا ونقبل علىٰ طلب العلم من أهله العلماء، ونسأل أهل العلم إذا أشكل علينا شيء في أمور ديننا وأمور دنيانا، نسأل أهل العلم أهل البصيرة الذين يتكلمون عن علم ويفتون عن الدليل.

هؤلاء المرجع، وهؤلاء هم القدوة، وهؤلاء هم الدعاة إلىٰ الخير، لا نزهد فيهم؛ لأنه في هذا الوقت كثر القيل والقال، والوقيعة بين أهل العلم وبين الناس، وبين العوام وبين طلبة العلم، وصاروا يتكلمون في العلماء، ويتهمونهم اتهامات ويروجون عليهم الأكاذيب من أجل أن يفصلوا بين

الأمة وعلمائها، حتىٰ يسهل عليهم الدخول في شبهاتهم وضلالتهم في إغواء الناس وتفريق الكلمة، هذا ما يريدونه فلنكن منهم علىٰ حذر»[1].

* * *

شبهة: فلان لا يؤخذ منه العلم؛ لأنه ليس من هيئة كبار العلماء:

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن بعض أهل الباطل يرد الحق المخالف لمنهجهم الفاسد، بحجة أن هذا العالم المتكلم ليس من هيئة كبار العلماء، ومقصودهم بذلك عدم قبول الحق الذي حذر به ذاك العالم من باطلهم.

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: الأصل أن الكلام يقبل لموافقته للحق، ويرد لمخالفته للحق، لا لأنه قول فلان أو فلان، وقد قرر أهل العلم قاعدة: «**الحق لا يعرف بالرجال؛ اعرف الحق تعرف أهله**».

الثاني: أن هيئة كبار العلماء جهة محترمة، ولها مكانتها العلمية، لكن العلم ليس مختصًّا بهيئة كبار العلماء فقط، بل كل من اتصف بصفات أهل العلم فإنه أهلٌ لأخذ العلم منه سواء كان من هيئة كبار العلماء أم من غيرهم.

ولو قال القائل: فلان ليس من أهل العلم، ولم يتلقَ العلم علىٰ أيدي العلماء، وليس معروفًا عندهم؛ فلا يؤخذ عنه العلم لأصاب الحق.

الثالث: أن الذي يحكم بأن فلانًا من العلماء الكبار أو الصغار هم أهل

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/ ٣٠٩-٣١٠).

العلم، لا الأحداث سفهاء الأحلام أو الجهال أو أهل الأهواء والبدع، فهؤلاء لا يقبل حكمهم علىٰ أنفسهم فضلًا علىٰ أن يحكموا علىٰ غيرهم؛ إذ كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟

الرابع: أن العالم المتمسك بالكتاب والسنة علىٰ فهم سلف الأمة هو كبير بهذا العلم، كبير بهذا المنهج لا لذات هذا العالم، وإنما للحق فصاحب الحق كبير، وصاحب الباطل صغير، ولو كان كبير العلم.

قال إبراهيم الحربي: «الصغير إذا أخذ بقول رسول الله والصحابة والتابعين فهو كبير»[(١)].

قال البربهاري: «اعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، وإنما العالم من اتبع العلم والسنن وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب»[(٢)].

* * *

شبهة: أن الشيخ يؤثر عليه الشباب الذين حوله!

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن كلام الشيخ العالم الصادر في شأن أهل الأهواء والبدع، من دعاة الضلالة لا يعتمد عليه ولا يقبل منه؛ لأن العالم يتأثر بكلام المغرضين زعموا.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٩١).

(٢) شرح السنة (٩٦رقم١٠٤).

وانظر: عبارات موهمة (٥٤-٥٦) لمحمد بازمول.

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن هذه الكلمة تتضمن الطعن في الشيخ بأنه غير ضابط يقبل التلقين من تلامذته، والأصل أنه عدل ثقة سليم الفهم، فهذا خلاف الأصل، فإما أن يقام عليها دليل، وإلا حقها الرد وعدم القبول.

الثاني: أن هذه الكلمة قد نهىٰ الله عن قولها للنبي ﷺ والعلماء ورثة الأنبياء: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(١)].

قال الطبري: «يقول تعالىٰ ذكره: ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه، وهو من قولهم: رجل أُذَنَةٌ، مثل (فعَلة) إذا كان يُسرع الاستماعَ والقبولَ، كما يقال: هو يَقِنٌ ويَقَنٌ إذا كان ذا يقين بكل ما حُدِّث، وأصله من أذن له يأذن إذا استمع له»[(٢)].

فهذه الكلمة يقولها أهل النفاق طعنًا في الرسول ﷺ، واليوم يقولها أهل البدع والجهال طعنًا في العلماء، وإسقاطًا لكلامهم، ودفعًا لعلمهم، فشابهوا بفعلهم هذا فعل أهل النفاق، ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الثالث: أن هذه الكلمة يتسور بها أصحابها لرد كلام أهل العلم في

---

(١) (التوبة: ٦١).

(٢) جامع البيان (١١/ ٥٣٥).

الأشخاص أو في الأمور، وهذا من أسوأ وأبطل ما يكون؛ إذ كلام العالم لا يرد إلا بدليل شرعي، فهل هذا من الأدلة الشرعية؟

الرابع: أن هذه الكلمة فيها محاذير كثيرة منها: ترسيخ انعدام الثقة بالشيخ في كلامه وأحكامه، وإذا ضاعت الثقة بالشيخ ضاعت الثقة بعلمه[١].

الخامس: ومن محاذير هذه الكلمة أنها تسقط مهابة الشيخ وإجلاله من نفوس الطلاب[٢].

❊ ❊ ❊

شبهة: فلان سلفي العقيدة حركي الْمَنهج:

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن بعض الدعاة، وإن كان ينتمي إلىٰ جماعة حركية مخالفة لمنهج السلف في الدعوة والعقيدة إلا أنه يؤخذ عنه العلم؛ لأنه في اعتقاده سلفي، وفي دعوته حركي، فلا مانع من الاستفادة منه.

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن هذا القول من الضلالة المنكرة، ومن التلون في دين الله.

قال حذيفة: «اعلم أن الضلالة حق الضلالة: أن تعرف ما كنت تنكره وأن تنكر ما كنت تعرفه، وإياك والتلون؛ فإن دين الله واحد»[٣].

---

(١) انظر: المدارج في كشف شبهات الخوارج (٧-١٣) لأحمد بن عمر.

(٢) عبارات موهمة (٤٩-٥٠) لمحمد بازمول.

(٣) أخرجه معمر في الجامع (١١/ ٢٤٩رقم٢٠٤٥٤)، ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ٦٩رقم١٣٤).

الثاني: أن الواجب علىٰ كل مسلم فضلًا عن العلماء والدعاة وطلاب العلم أن يعمل بالكتاب والسنة علىٰ منهج السلف الصالح، وليس للمسلم أن ينتمي إلىٰ غير ذلك؛ لأن الانتماء إلىٰ غير منهج السلف ضلال مبين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب علىٰ من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزىٰ إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»[1].

«فالسلفية هي: السير علىٰ منهج السلف، من الصحابة، والتابعين، والقرون المفضَّلة، في العقيدة، والفَهم، والسلوك، ويجب علىٰ المسلم سلوك هذا المنهج، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلىٰ السلف، وهم الذين ساروا علىٰ منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة»[2].

الثالث: أن الاعتقاد والمنهج متلازمان لا ينفكان، فالمنهج تَبَعٌ للعقيدة.

قال الشيخ صالح الفوزان: «المنهج أعم من العقيدة، المنهج يكون في العقيدة وفي السلوك والأخلاق والمعاملات وفي كل حياة المسلم، كل الخطة التي يسير عليها المسلم تسمىٰ المنهج، أما العقيدة فيراد بها أصل الإيمان، ومعنىٰ الشهادتين ومقتضاهما هذه هي العقيدة»[3].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٤٩).

(٢) انظر: فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ١٦٥)، والأجوبة المفيدة (١٥٧) للفوزان مع حاشيتها للحارثي.

(٣) الأجوبة المفيدة (١٢٣).

لكن يتوقف على صحة المنهج جنة أو نار، وقد سئل الشيخ صالح الفوزان السؤال التالي: هل يتوقف على صحة المنهج جنة أو نار؟

فأجاب بقوله: «نعم، المنهج إذا كان صحيحًا صار صاحبه من أهل الجنة؛ فإذا كان على منهج الرسول ﷺ ومنهج السلف الصالح يصير من أهل الجنة بإذن الله، وإذا صار على منهج الضُّلاَّل فهو مُتَوَعَّدٌ بالنار، فَصِحَّة المنهج من عدمها يترتب عليها جنة أو نار»(١).

الرابع: أن التفرق والتحزب أمر لا يقره الشرع، بل نهى عنه وحذر منه.

قال الشيخ صالح الفوزان: «يجب بيان خطر التحزب، وخطر الانقسام والتفرق؛ ليكون الناس على بصيرة؛ لأنه حتى العوام ينخدعون، كَم من العوام الآن انخدعوا ببعض الجماعات يظنون أنها على حق!

فلابد أن نُبَيِّن للناس -المتعلمين والعوام- خطر الأحزاب والفِرَق؛ لأنهم إذا سكتوا قال الناس: العلماء كانوا عارفين عن هذا وساكتين عليه؛ فيدخل الضلال من هذا الباب؛ فلابد من البيان عندما تحدث مثل هذه الأمور، والخطر على العوام أكثر من الخطر على المتعلمين؛ لأن العوام مع سكوت العلماء يظنون أن هذا هو الصحيح وهذا هو الحق»(٢).

الخامس: أنه لا يمكن الاجتماع مع اختلاف المنهج، والواقع خير

---

(١) الأجوبة المفيدة (١٢٥).

(٢) الأجوبة المفيدة (١٢٣).

وانظر: عبارات موهمة (٢٨) لمحمد بازمول.

شاهد لذلك.

قال يحيىٰ بن معاذ: «من خالف عقدك عقده خالف قلبك قلبه»[(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا يمكن الاجتماع مع اختلاف المنهج والعقيدة، وخير شاهد لذلك واقع العرب قبل بعثة الرسول ﷺ، حيث كانوا متفرِّقين متناحرين، فلما دخلوا في الإسلام، وتحت راية التوحيد، وصارت عقيدتهم واحدة، ومنهجهم واحدًا؛ اجتمعت كلمتهم، وقامت دولتهم»[(٢)].

السادس: أن العلاج لهذا للتفرق والاختلاف واضح بَيِّن لمن أراده، وقد بينه لنا رسولنا الكريم -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

قال الشيخ صالح الفوزان: «الرسول ﷺ أخبرنا وبَيَّنَ لنا كيف نعمل، ما ترك شيئًا يقرِّب أمته إلىٰ الله إلا وبيَّنه، وما ترك شيئًا يبعدهم من الله إلا وبيَّنه -عليه الصلاة والسلام-.

ومن ذلك: هذه المسألة، قال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا**»، لكن ما هو العلاج عند حدوث ذلك؟ قال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه السلمي في آداب الصحبة (١١٥رقم١٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦٤ رقم٩٤٨٣) من طريقين عن يحيىٰ بن معاذ.

(٢) الأجوبة المفيدة (٢١٠). وانظر منه: (٢١٢).

(٣) كما في حديث العرباض بن سارية، وقد تقدم تخريجه (ص٨٩).

فهذه الجماعات من كان منها علىٰ هدي الرسول ﷺ والصحابة، وخصوصًا الخلفاء الراشدين والقرون المفضلة، فأي جماعة علىٰ هذا المنهج فنحن مع هذه الجماعة؛ ننتسب إليها، ونعمل معها، وما خالف هدي الرسول ﷺ فإننا نتجنبه وإن كان يتسمىٰ (جماعة إسلامية)، العبرة ليست بالأسماء، العبرة بالحقائق، أما الأسماء فقد تكون ضخمة، ولكنها جوفاء ليس فيها شيء، أو باطلة أيضًا.

وقال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قلنا: من هي يا رسول؟ قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١].

الطريق واضح، الجماعة التي فيها هذه العلامة نكون معها، من كان علىٰ مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه؛ فهم الجماعة الإسلامية الحقة.

أما من خالف هذا المنهج وسار علىٰ منهج آخر فإنه ليس منا ولسنا منه، ولا ننتسب إليه ولا ينتسب إلينا، ولا يُسَمَّىٰ جماعة، وإنما يُسَمَّىٰ فِرقَة من الفِرَق الضَّالة؛ لأن الجماعة لا تكون إلا علىٰ الحق، فهو الذي يجتمع عليه الناس، وأما الباطل فإنه يُفَرِّق ولا يجمع، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[٢]»[٣].

---

(١) حسن لغيره، وقد سبق تخريجه (ص٣٣).

(٢) (البقرة:١٣٧).

(٣) الأجوبة المفيدة (٢٤).

السابع: أن أتباع المنهج الحركي يذمون السلفيين، ويمدحون من يوافقهم في المنهج الفاسد، بسبب ولائهم للحركة والجماعة الحزبية، وهذا خطر عظيم.

قال الشيخ صالح الفوزان: «من خالف منهج السلف ومدح المناهج المخالفة لمنهج السلف ومدح أهلها، فإنه يعتبر من أهل المخالفة، تجب دعوته ومناصحته، فإن رجع إلىٰ الحق وإلا فإنه يُهجر ويُقاطع»[(١)].

* * *

شبهة: أن الأمة بحاجة إلى دعاة، وليست بحاجة إلى علماء:

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن الناس ينتفعون من الدعاة؛ لأن الدعاة هم الذين ينزلون لعامة الناس، ويعظون الناس، بخلاف العلماء، فإن استفادة العامة منهم قليلة جدًّا.

فـ «كثير من العلماء عبارة عن خزانة معلومات مغلقة، أو نسخة من مكتبة، وهذا الداعية لم يقل: إنه فقيه، وكون عليه ملاحظات، فمن ذا الذي ليس عليه ملاحظات علينا النصح والتجاوز عن هذه العثرات في سبيل الانتفاع من الخير الكثير الذي يعطيه الناس؛ لأن المقابل هو النسخ المكتبية!!».

وهذه شبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن هذا القول قول سوء فيه طعن في العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

---

(١) الأجوبة المفيدة (١٦٠).

قال الشيخ صالح الفوزان: «الله ﷻ نهىٰ عن سوء الظن بالمسلمين عامة، فكيف إذا كانوا من العلماء؟! لذلك فسوء الظن بالعلماء جريمة؛ لأنهم ورثة الأنبياء، وإذا لم تثق الأمة في علمائها فبمن تثق؟!»[١].

الثاني: أن الواجب أخذ العلم من أهله، فالدعاة إذا كانوا معروفين بالعلم والسنة فلا يمنع أحد من الاستفادة منهم إذا تكلموا بما يعلمون، وأما إذا كانوا غير معروفين بالعلم أو كانوا معروفين بمخالفة السنة والضلال، فهؤلاء لا يؤخذ منهم العلم ولا كرامة.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الواقع: أن الأمة الإسلامية تحتاج إلىٰ دعاة، وتحتاج إلىٰ علماء يغوصون في بحور العلم ويستخرجون كنوزه وجواهره، وإلىٰ دعاة تغرس في الناس حب الخير والاتجاه إليه، ولكن الحاجة ماسة إلىٰ دعاة حكماء يعرفون كيف يضعون الكلمة وكيف يمسكونها؛ لأن من الدعاة من تحمله الغيرة علىٰ إطلاق كلمات قد يكون من الحكمة ألا تذكر، إما مطلقًا أو في المجالس العامة.

أما الفقهاء فلا شك أنهم الذين يغوصون علىٰ درر معاني الكتاب والسنة من أجل أن يهدوا الأمة، فلكل مجال عمله، والأمة محتاجة إلىٰ هؤلاء وهؤلاء»[٢].

الثالث: أن دعاة الباطل والجهال يجب التحذير منهم، ويحرم الثناء

---

(١) ظاهرة التبديع والتفسيق (٤٢).

(٢) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٨٥) لسليمان أبا الخيل.

عليهم؛ لما فيه من غش للإسلام والمسلمين.

قال الشيخ صالح الفوزان: «لا يجوز تعظيم المبتدعة والثناء عليهم، ولو كان عندهم شيء من الحق؛ لأن مدحهم والثناء عليهم يروج بدعتهم، ويجعل المبتدعة في صفوف المقتدىٰ بهم من رجالات هذه الأمة.

والسلف حذرونا من الثقة بالمبتدعة، وعن الثناء عليهم، ومن مجالستهم، والمبتدعة يجب التحذير منهم، ويجب الابتعاد عنهم، ولو كان عندهم شيء من الحق.

فإن غالب الضُلَّال لا يخلون من شيء من الحق؛ ولكن مادام عندهم ابتداع، وعندهم مخالفات، وعندهم أفكار سيئة، فلا يجوز الثناء عليهم، ولا يجوز مدحهم، ولا يجوز التغاضي عن بدعتهم؛ لأن في هذا ترويجًا للبدعة، وتهوينًا من أمر السنة، وبهذه الطريقة يظهر المبتدعة ويكونون قادة للأمة -لا قدَّر الله-.

فالواجب: التحذير منهم، وفي أئمة السنة الذين ليس عندهم ابتداع في كل عصر ولله الحمد فيهم الكفاية وهم القدوة»(١).

الرابع: أن هذا القول قول من لا يشم رائحة العلم ولا فقه دين الله، فالعلم لا يحصل بكثرة المحفوظات، ولا بكثرة الكلام، لكن العلم نور وبصيرة وفقه في الدين.

قال ابن رجب: «ليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور

(١) ظاهرة التبديع والتفسيق (٧٣).

يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقصود»[١].

الخامس: أن الأمة محتاجة إلىٰ العلم الشرعي؛ لظهور البدع والمنكرات، وكثرة المخالفة للهدي النبوي، وقلة العلم وأهله.

قال الخطيب: «طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع لأجل دروس السنن وخمولها وظهور البدع واستعلاء أهلها»[٢].

* * *

شبهة: أن الدعاة والعلماء المتصدرين في الساحة كلهم سلفيون:

ومعنىٰ **هذه الشبهة**: أن كل من دعا إلىٰ الله وتصدر للدعوة، فهو علىٰ منهج سليم، وكلهم متابع لمنهج السلف الصالح، فنستفيد من الجميع، ولا يجوز التفريق بينهم، أو القول بعدم صلاحيتهم للدعوة إلىٰ الله.

وهذه شبهة باطلة من وجوه:

الأول: هذا قول من لا يعرف الواقع، بل من لا يعرف التاريخ الإسلامي ولم يخبره، ومن لا يعرف النصوص الشرعية الواردة في الموضوع، ألم يخبر النبيﷺ بالاختلاف والتفرق عما جاء به من الحق، ألم يوجد الخوارج والقدرية والشيعة في عهد السلف في هذه الجزيرة العربية؟

(١) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف (٣/ ٢١-المجموع).

(٢) شرف أصحاب الحديث (٨٦).

قال البغوي: «قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه ﷺ»[١].

فإذا لم تسلم تلك العصور الإيمانية الصادقة من أولئك المبتدعة فضلًا عن العصور التي تليها، فهل يسلم عصرنا من أهل البدع والضلال؟!

الثاني: أن السلفيين المتمسكين بالسنة العاملين بها قليلون جدًّا، وهم في غربة مع أهل الأرض عمومًا ومع أهل الأهواء والبدع خصوصًا.

فعن أبي هُرَيرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَدَأَ الإسلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ**»[٢].

قال يونس بن عبيد: «أصبح من إذا عرف السنة عرفها غريبًا، وأغرب منه من يعرفها»[٣].

وقال أبو بكر بن عياش: «السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان»[٤].

وقال يوسف بن أسباط: «أهل السنة أقل من الكبريت الأحمر»[٥].

---

(١) شرح السنة (١/ ٢٢٤). وانظر: الإبانة (١/ ١٦٤-١٦٩) لابن بطة.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (١/ ١٣٠رقم١٤٥).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (٥/ ٢٥٥٠رقم٢٠٥٩).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٩)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٧٢ رقم١٥١٨، ١٥١٩).

(٥) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٢/ ٣٩٩رقم٤٨٣).

وقال ابن قيم الجوزية: «الغرباء الممدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جدًّا سموا غرباء؛ فإن أكثر الناس علىٰ غير هذه الصفات؛ فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون علىٰ أذىٰ المخالفين هم أشد هؤلاء غربة»[١].

الثالث: لو كان الدعاة علىٰ الحق والسنة فلِم هذا الاختلاف، ولماذا هذا التفرق والتناحر، فهل الحق والاجتماع ينتج عنه هذا التفرق والتناحر؟

قال مطرف بن الشخير: «لو كانت هذه الأهواء كلها هوىٰ واحدًا لقال القائل: الحق فيه فلما تشعبت واختلفت عرف كل ذي عقل أن الحق لا يتفرق»[٢].

وإذا كان الدعاة هؤلاء علىٰ الحق فلماذا يحذرون هم وأتباعهم من أهل السنة؟ ولماذا الطعن في المنهج السلفي في كثير من المناسبات؟ ولماذا يصفونهم بأوصاف تنفيرية بقصد تشويه صورتهم عند طلاب العلم والعامة؟

خذ علىٰ سبيل المثال: علماء حيض ونفاس، عملاء، علماء مناصب، مداهنون، مباحث، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف التي تنفر عامة الناس عن قبول الحق.

الرابع: أن العلماء الكبار الموثوق بعلمهم ودينهم وتقواهم، تكلموا في

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٩٥-٢٠٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٩رقم٣١٢).

بعض الدعاة، وحذروا منهم، ومن منهجهم الباطل[(١)]، من أمثال الشيخ ابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والنجمي -رحمهم الله تعالىٰ-، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والفوزان، وربيع المدخلي، وزيد المدخلي، وغيرهم -حفظهم الله تعالىٰ-.

فهل هؤلاء تكلموا في شيء لا وجود له في أرض الواقع! أم أنهم تكلموا من باب الحسد والغيبة والحقد ؟!

حاشاهم من ذلك.

الخامس: أن من أنكر ذلك عُرِّف، فإن استمر ألحق بهم ولا كرامة.

وقال الشيخ صالح الفوزان: «الذي يمدح المبتدعة ويشبه علىٰ الناس بما عندهم من الحق، هذا أحد أمرين: إما جاهل بمنهج السلف، وموقفهم من المبتدعة، وهذا الجاهل لا يجوز له أن يتكلم، ولا يجوز للمسلمين أن يستمعوا له.

وإما مغرض؛ لأنه يعرف خطر البدعة ويعرف خطر المبتدعة ولكنه مغرض يريد أن يروج للبدعة.

فعلىٰ كلٍّ هذا أمر خطير، وأمر لا يجوز التساهل في البدعة وأهلها مهما كانت»[(٢)].

---

(١) قال الشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي في تأسيس الأحكام بشرح أحاديث الأحكام (٥/ ٥١): «في المجتمعات الإسلامية اليوم أناس يدعىٰ لهم أنهم أهل علم، وليسوا كذلك».

(٢) ظاهرة التبديع والتفسيق (٧٣).

شبهة: أن البحث عن حال المتصدرين لإفادة الناس هو من الطعن فيهم، ومن تتبع عورات المسلمين! وأنَّ باب الجرح والتعديل قد أغلق:

ومعنىٰ **هذه الشبهة**: أن الكلام في الدعاة المتصدرين لدعوة الناس لا يجوز؛ لأنه يدخل في الغيبة، وفي تتبع عورات المسلمين، فهو محرم ومن كبائر الذنوب، وإنما كان جائزًا في باب جرح الرواة، فهو خاص بنقلة الحديث.

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: ليس الكلام في رواة الحديث وفي المتصدرين لإفادة الناس من باب الغيبة المحرمة، بل هو واجب شرعي، وداخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل والجهاد في سبيل الله[(١)]، وهو من أعظم أبواب العلم؛ لما فيه من حفظ السنة والدين من البدع والضلالات والأفكار المنحرفة.

وقد كان السلف من أحرص الناس علىٰ الرد علىٰ كل منحرف ومخالف، وكشف كل زائغ وضال، مهما كانت منزلته عند الناس تقربًا إلىٰ الله.

قال عفان: «كنت عند ابن علية فقال رجل: فلان ليس ممن يؤخذ عنه. قال فقال له الآخر: قد اغتبت الرجل! فقال رجل: ليست هذه بغيبة إنما هذا حكم. قال: فقال ابن علية: صدقك الرجل، يعني الذي قال هذا حكم»[(٢)].

---

(١) **قال الشافعي**: «ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم! قيل: له ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله ﷻ». أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (٢/ ١٣٨).

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ١١)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٤).

وقال ابن أبي زمنين: «لم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويخوفون فتنتهم، ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم، ولا طعنًا عليهم»[(١)].

وقال الخطيب: «ليس إبانة العلماء لأحوال الرواة غيبة، بل هي نصيحة ولهم في إظهارها أعظم المثوبة؛ لكونها مما يجب عليهم كشفه ولا يسعهم إخفاؤه وستره»[(٢)].

وقال ابن رجب: «الكلام في الجرح والتعديل جائز، قد أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، لما فيه من تمييز ما يجب قبوله من السنن، مما لا يجوز قبوله.

وقد ظن بعض من لا علم عنده أن ذلك من باب الغيبة[(٣)]، وليس كذلك، فإن ذكر عيب الرجل إذا كان فيه مصلحة ولو كانت خاصة كالقدح في شهادة شاهد الزور، جائز بغير نزاع، فما كان فيه مصلحة عامة للمسلمين أولىٰ»[(٤)].

وقال ابن رجب: «أهل البدع والضلال ومن تشبه بالعلماء وليس منهم؛ يجوز بيان جهلهم، وإظهار عيوبهم تحذيرًا من الاقتداء بهم»[(٥)].

---

(١) أصول السنة (٢٩٣).

(٢) شرف أصحاب الحديث (١٢٤).

(٣) وصفهم الحاكم في المدخل إلىٰ الإكليل (٧٠) بأنهم عوام الناس.

(٤) شرح العلل (١/ ٣٤٨).

(٥) الفرق بين النصيحة والتعيير (٢/ ٤٠٧-المجموع).

وسئل الشيخ صالح الفوزان: هل بيان بعض أخطاء الكتب الحزبية، أو الجماعات الوافدة إلىٰ بلادنا، يعتبر من التعرض للدعاة؟ فأجاب: «لا، هذا ليس من التعرض للدعاة ؛ لأن هذه الكتب ليست كتب دعوة، وهؤلاء -أصحاب هذه الكتب والأفكار- ليسوا من الدعاة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، وعلم وعلىٰ حق.

فنحن حين نبين أخطاء هذه الكتب أو هؤلاء الدعاة ليس من باب التجريح للأشخاص لذاتهم، وإنما من باب النصيحة للأمة أن تتسرب إليها أفكار مشبوهة، ثم تكون الفتنة، وتتفرق الكلمة، وتتشتت الجماعة.

وليس غرضنا الأشخاص، غرضنا الأفكار الموجودة بالكتب التي وفدت إلينا باسم الدعوة»[1].

الثاني: أن السكوت عن المبتدعة وعن الجهال المتصدرين فيه تغرير بالعامة، وتدليس عليهم، فيظنون أنهم علىٰ حق وخير، والواقع أكبر شاهد علىٰ ذلك.

قال الشيخ صالح الفوزان: «لا يجوز تعظيم المبتدعة والثناء عليهم، ولو كان عندهم شيء من الحق؛ لأن مدحهم والثناء عليهم يروج بدعتهم، ويجعل المبتدعة في صفوف المقتدىٰ بهم من رجالات هذه الأمة»[2].

الثالث: أن الرد علىٰ المخالف ليس المقصود منه تنقصه أو الفضيحة،

---

(١) الأجوبة المفيدة (١٣٨).

(٢) ظاهرة التبديع والتفسيق (٧٣).

بل المقصود منه النصيحة، هذا الظاهر، والسرائر علمها عند الله، تبلىٰ يوم تلتقي الخصوم.

سئل الشيخ صالح الفوزان السؤال التالي: ما حكم من أحب عالمًا أو داعية، وقال: إني أحبه حبًّا كثيرًا، لا أريد أن أسمع أحدًا يرد عليه، وأنا آخذ بكلامه حتىٰ وإن كان مخالفًا للدليل، لأن هذا الشيخ أعرف منا بالدليل؟

فأجاب بقوله: «هذا تعصب ممقوت مذموم، ولا يجوز، نحن نحب العلماء - ولله الحمد- ونحب الدعاة في الله ﷻ، لكن إذا أخطأ واحد منهم في مسألة فنحن نُبيِّن الحق في هذه المسألة بالدليل، ولا يُنقص ذلك من محبة المردود عليه، ولا من قدره...

وبيان الخطأ من النصيحة للجميع، وأما كتمانه فهو مخالف للنصيحة»[(1)].

الرابع: أن دعوىٰ اختصاص علم الجرح والتعديل بباب الرواية دعوىٰ غير صحيحة؛ لأن السلف إنما تكلموا فيمن تكلموا فيه حماية للدين من البدع والضلالات، سواء كان في باب الرواية أو في باب الدراية.

ولذلك نجدهم قد تكلموا في جماعة لا رواية لهم، وإذا كانوا يردون رواية الراوي المبتدع إذا كان داعية أو روىٰ ما يوافق بدعته؛ فرد كلام أهل الأهواء والبدع والجهال الذي يفسرون به النصوص الشرعية من باب أولىٰ.

قال ابن قيم الجوزية: «جواز الطعن في الرجل بما يغلب علىٰ اجتهاد الطاعن حمية أو ذبًّا عن الله ورسوله، ومن هذا طعن أهل الحديث فيمن

---

(١) الأجوبة المفيدة (١٦٣).

طعنوا فيه من الرواة، ومن هذا طعن ورثة الأنبياء وأهل السنة في أهل الأهواء والبدع لله لا لحظوظهم وأغراضهم.

وجواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد أنه وهم وغلط كما قال معاذ للذي طعن في كعب: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا[١]، ولم ينكر رسول الله على واحد منهما»[٢].

وقال ابن رجب: «لا فرق بين الطعن في رواة حفَّاظ الحديث، ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأوَّلَ شيئًا منها على غير تأويله، وتمسك بما لا يتمسك به ليُحذَّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك»[٣].

* * *

شبهة: أن إسقاط الرموز أمر صعب:

ومعنى هذه الشبهة: أن بعض الدعاة، وبعض المشتغلين بالدعوة أصبحوا رموزًا وأعلامًا، ومحطة نظر لعامة الناس، فالقدح فيهم وبيان خطرهم على الإسلام والمسلمين أمر لا يمكن؛ لما فيه من تفرقة الأمة، وبلبلة أفكارهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٤/ ١٦٠٣ رقم ٤١٥٦)، ومسلم في الصحيح (٤/ ٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٧٥).

(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير (٢/ ٤٠٣-المجموع).

وانظر: عبارات موهمة (٦٣-٦٦) لمحمد بازمول.

وهذه شبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن الرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله، فهذا الرجل خالف الحق ووافق أهل البدع والأهواء وقال بمقولتهم فالحق ليس معه وينبغي التحذير مما معه من الباطل، فالسني يتمسك بالحق ولا يتعصب للأهواء.

كما قيل لأبي بكر بن عياش: من السني؟ فقال: «السني الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها»[(١)].

الثاني: أن الواجب الكفائي من النصيحة والأمر بالمعروف يحتم إشهاره ببدعته تحذيرًا ونصيحة للمسلمين حتىٰ لا يقعوا فيما وقع فيه من الباطل.

الثالث: أن هذا خلاف منهج السلف الصالح الذين تكلموا في أناس هم بمقاييس عصرنا من العلماء الكبار، ومع ذلك لما صدر منهم ما يخالف ما عليه السلف الصالح أنكر عليهم ونسبوا إلىٰ البدعة التي وقعوا فيها تحذيرًا ونصيحة.

الرابع: تطبيق هذه العبارة يخالف صراحة المنهج الذي قرره السلف في أخذ العلم: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

فما بالك برجل يؤخذ عنه الحديث والتفسير والعقيدة والفقه، هل يسكت عما معه من البدعة بدعوىٰ أن الكلام في الرموز صعب، أو يتكلم فيه وفي بدعته ويشهر أمره تحذيرًا ونصيحة حتىٰ لا يغتر الناس به وببدعته؟

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٥/ ٢٥٥٠رقم٢٠٥٨).

لا شك أن الواجب هو البيان، وإلا فإن سكوتك عن بيان حاله تدليس وتلبيس على المسلمين، ولعلك تكون سببًا فيما يبثه بين الناس من بدعة وضلالة بهذا الموقف!

الخامس: أن حقيقة هذه العبارة هي تطبيق لمنهج الموازنات[(١)]، وهو منهج باطل يضيع ويميع الدين، وما يكون الحق واضحًا جليًّا، بل فيه إماتة للحق وضياع لأهله، إلا أن يشاء الله.

السادس: أن إسقاط الرجل أو رفعته أمر بيد الله يصرفه كيف يشاء ليس من شأنك؛ أدّ أنت الواجب الذي عليك من بيان الحق وإنكار المنكر، وتحذير الناس من بدعته، فإن قبل وتواضع للحق ورجع وتاب وأناب؛ فإن الله سبحانه سيرفعه -إن شاء سبحانه-؛ فإن من تواضع لله رفعه وإن بغىٰ واعتدىٰ، فهذا رجل من أهل البدع كيف يتباكىٰ عليه وعلىٰ إسقاطه، سبحان الله![(٢)].

* * *

شبهة: أن العلماء أَحَدُّ الناس، والآخرون عندهم رفق ولين:

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن العلماء السلفيين الذين يؤخذ عنهم العلم، فيهم شدة، ويصعب التعامل معهم، بخلاف الآخرين من أهل البدع والأهواء والمتعالمين الجهال، فأخلاقهم جميلة، وفيهم رفق ولين.

---

(١) وللشيخ ربيع المدخلي كتاب بعنوان: «**المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء**» في نقض هذه القول الفاسد والمنهج الكاسد، أجاد فيه وأعاد، وأبدع به وأفاد.

(٢) انظر: عبارات موهمة (٥١-٥٢) لمحمد بازمول.

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن العلماء الربانيين يتأدبون بالآداب الشرعية، وبالأخلاق المرعية، وهم ورثة الأنبياء، ومع ذلك فهم بشر، يصيبون ويخطئون، يفرحون ويغضبون، فلا يليق بعد ذلك أن توصف أخلاقهم بأنها حادة؛ لأمر عارض، فهذا من سوء الأدب معهم.

الثاني: أن أهل العلم أهل مروءة وتقوىٰ وخشية لله ﷻ، فلذلك يظهر عليهم الخشوع، ولا يضحكون كثيرًا، ولا يلعبون أو يتمازحون مع عامة الناس كالسفهاء، وقد تكون حدتهم من باب التأديب.

الثالث: أنهم يغضبون لله ﷻ لا لأنفسهم.

قال ابن رجب: «من علامات العلم النافع: أن صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به علىٰ أحد، ولا ينسب غيره إلىٰ الجهل إلا من خالف السنة وأهلها فإنه يتكلم فيه غضبًا لله لا غضبًا لنفسه، ولا قصدًا لرفعتها علىٰ أحد»(١).

الرابع: أنهم يغضبون لجهل الناس عليهم، وسوء أدبهم معهم.

قالت امرأة لإبراهيم النخعي: يا أبا عمران، أنتم العلماء أحد الناس؟

فقال لها: ما ذكرت عن الحدة فإن العلم معنا، والجهل مع مخالفينا، وهم يأبون إلا دفع علمنا بجهلهم، فمن ذا يطيق الصبر علىٰ هذا؟(٢).

الخامس: أن يعلم أن أهل السنة يحاول الشيطان تنفير الناس عنهم ولو

---

(١) فضل علم السلف علىٰ الخلف (٣/ ٣١-المجموع).

(٢) ذكر القصة ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٠).

بإظهارهم في مظهر الشدة[١]، بخلاف أهل البدع، فإن الشيطان يخليهم ويظهرهم في مظهر الخشوع وحسن الخلق يصطاد بهم.

قال الأوزاعي: «بلغني أن من ابتدع بدعة، خلّاه الشيطان والعبادة، وألقىٰ عليه الخشوع والبكاء لكي يصطاد به»[٢].

* * *

شبهة: لا يخلو كتاب من فائدة، ولا محاضرة من لطيفة عائدة! فخذ الحق، واترك الباطل؛ إذ الحكمة ضالة المؤمن!

ومعنىٰ هذه الشبهة: أننا نستفيد من كل أحد دون تمييز بين أهل العلم من غيرهم من المتعالمين وأنصاف المتعالمين، ودون تمييز بين أهل السنة وبين أهل البدعة، إذ الحق يقبل من كل أحد.

وهذه شبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن هذه المقولة جاءت في خبر ضعيف جدًّا مرفوع إلىٰ النبي ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[٣].

الثاني: أن هذه الجملة ليست علىٰ إطلاقها، بل فيها تفصيل، فليس كل أحد يصلح أن يقرأ الكتب المنحرفة.

---

(١) انظر: مناقب الشافعي (٢/ ١٤٥-١٤٦) للبيهقي.

(٢) ذكره أبو بكر الطرطوشي في الحوادث والبدع (١٤٩)، وانظر: الاعتصام (١/ ١٢٥) للشاطبي.

(٣) انظر: ضعيف سنن الترمذي (رقم٢٦٨٧) للألباني.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الكتب التي فيها انحراف في العقيدة، أو في المنهج لا تجوز قراءتها إلا من إنسان مطلع يعرف الصواب من الخطأ.

أما طالب علم ابتدأ العلم في أول مرحلة لا يميز بين الصواب والخطأ فإنه لا يجوز له أن يقرأ هذه الكتب؛ لئلَّا يضل، أما الرجل العالم المطلع يريد أن يقرأ هذه الكتب؛ ليتبين له الخطأ من الصواب فيبين الخطأ؛ فهذا لابد منه؛ إذ لا يمكن معرفة الخطأ إلا بقراءته والاطلاع عليه، وأما من لا يعرف فلا، بل يتجنب ذلك»[(١)].

وقال يحيىٰ بن عثمان المدرس: «هذه المقولة ليست علىٰ عمومها، فإذا كان القارئ متمكنًا من العقيدة والعلم فلا بأس، أما المبتدئ فلا يقدم علىٰ قراءتها ككتب أهل المنطق والصوفية والمبتدعة والمخرفين كدحلان، والكتب المحتوية علىٰ الإسرائيليات كبدائع الزهور وتنبيه الغافلين للسمرقندي.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)]: كره لمن لا يكون له نقد وتمييز النظر في الكتب التي يكثر فيها الكذب في الرواية والضلال في الآراء ككتب أهل البدع، وكره تلقي العلم من القصاص وأمثالهم الذين يكثر الكذب في كلامهم وإن كانوا يقولون صدقًا كثيرًا»[(٣)].

الثالث: أن يقال: هذه المقولة في حق من علم أنها كلمة حق موافق

---

(١) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (١٣١) لسليمان أبا الخيل.

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٦٨).

(٣) النجم البادي (٢٧) لأحمد بن عمر.

للشرع، بأن يبينها له عالم من العلماء، كما حصل لأبي هريرة في قصة الشيطان لما علمه آية الكرسي، فلم يقبلها أبو هريرة حتىٰ عرضها علىٰ النبيﷺ(١).

ففي هذا الحديث إقرار النبيﷺ لأبي هريرة في عدم اعتماده علىٰ قول من لا يعرفه حتىٰ يتثبت، مما يدل أن المجهول لا يؤخذ عنه العلم.

الرابع: أن هذه الكلمة تأتيه وتبلغه، فقد قال رجل لابن مسعود: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع. قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا قصيًّا، ومن جاءك بالباطل فاردده وإن كان قريبًا حبيبًا»(٢).

وليس معناه أن يبحث عنها في مجالس أهل البدع والضلال وفي كتبهم، فهذا محرم عند أهل العلم.

الخامس: أننا كما لا نجالس من يتعاطىٰ المخدرات مثلًا في وقت مباشرته للمخدرات حماية لأنفسنا بل نهجره مطلقًا، كذا أهل البدع نحذر منهم ولا نجالسهم مطلقًا من باب أولىٰ.

ولو كان الخطأ ناشئًا عن عدم الاطلاع أو اجتهاد في مسألة دون تَبَنٍّ لمنهج ما، مع سلامة المنهج والمعتقد قد يستفاد منهم في غير موطن الخطأ لكن المشكلة أن هذه الأخطاء مبناها علىٰ منهج وسوء طوية.

قال مبشر بن إسماعيل الحبلي: «قيل للأوزاعي: إن رجلًا يقول: أنا

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦٤).

(٢) أخرجه البغوي في مسند ابن الجعد (٣٢٦رقم٢٢٣٤).

أجالس أهل السنة، وأجالس أهل البدع، فقال الأوزاعي: هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل»[١].

وقال ابن أبي زمنين: «قال سحنون: كان ابن غانم يقول في مجالسة أهل الأهواء: أرأيت أن أحدكم قعد إلىٰ سارق، وفي كمه بضاعة، أما كان يحترز بها منه خوفًا أن يناله فيها، فدينكم أولىٰ بأن تحرزوه وتحفظوا به، قيل: وإن جاء معنا في ثغر أخرجناهم منه؟ قال: نعم»[٢].

السادس: أن نقول: لماذا تطلب الحق من غير أهله، ولماذا تظن أن ضالتك عند أهل البدع والأهواء أو الجهال أو الفساق، بل الحق موجود عند أهل السنة والجماعة السلفيين[٣].

❊ ❊ ❊

شبهة : فلان كتب له القبول في الأرض !

فلان له جهود وثمار في الدعوة، وأصلح الله على يديه كثيرين.

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن الداعية الفلاني الذي انتقده أهل العلم، وبينوا أخطاءه علىٰ حق؛ لأن الله كتب له المحبة في قلوب الناس، وأتباعه كثيرون، ولأن الناس انتفعوا بدعوته، فهذا يدل علىٰ أنه علىٰ خير، ولو كانت عنده أخطاء.

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٥٦رقم٤٣٠).

(٢) أصول السنة (٣٠٥).

(٣) انظر: طريق الوصول إلىٰ العلم المأمول (٢٢٠) للسعدي.

وهذه شبهة باطلة من عدة وجوه:

الأول: أن العبرة بموافقة الحق، لا بكثرة الأتباع أو قلتهم.

قال ابن عَبَّاسٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرِضَت عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيتُ النبي وَمَعَهُ الرُّهَيطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ ليس معه أَحَدٌ**»[(١)].

الثاني: أن القبول المزعوم مصطنع من أصحاب المناهج الفاسدة بالهالة الإعلامية التي يقومون بترويجها علىٰ عامة الناس، لكن القبول والمحبة التي جاءت في النصوص الشرعية ابتداؤهما من الله ﷻ.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[(٢)].

قال ابن عبد البر: «الود والمحبة بين الناس الله يبتدئها ويبسطها»[(٣)].

وقال ابن كثير: «يخبر تعالىٰ أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لابد منه ولا محيد عنه»[(٤)].

الثالث: أن القبول أمر غيبي لا يعلمه إلا الله، فلا يمكن الجزم به، فقد يثني الناس علىٰ من عمله شرك أصغر.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٥/ ٢١٥٧رقم٥٣٧٨) ومسلم في الصحيح (١/ ١٩٩رقم٢٢٠).

(٢) (مريم:٩٦).

(٣) التمهيد (٢١/ ٢٣٩).

(٤) التفسير (٣/ ١٤٠).

كما في حديث أبي هُرَيرَةَ: أول ثلاثة تسعر بهم النار: رَجُلٌ استُشهِدَ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرآنَ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وَأَعطَاهُ من أَصنَافِ المَالِ كُلِّهِ[1]، كلهم أثنىٰ عليهم الناس في الدنيا، وصير بهم إلىٰ النار؛ لأنهم مراءون.

الرابع: أن العبرة بالعلم الشرعي، لا بمجرد التأثير والقدرة علىٰ جذب الناس.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الواجب أن تنظروا إلىٰ العلم؛ لأن العلم هو الأصل، وأما القدرة علىٰ التأثير وعلىٰ الدعوة فهذا باب آخر، فكم من إنسان جاهل في ميزان أهل العلم يعني في علم الشريعة، لكن عنده قوة تأثير حينما يتكلم بوعظ أو ما أشبه ذلك.

فالواجب علىٰ الإنسان: ألا يأخذ دينه إلا ممن هو أهل للأخذ منه»[2].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «كون عنده شيء من الحق، فهذا لا يبرر الثناء عليه أكثر من المصلحة، ومعلوم أن قاعدة الدين (إن درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح).

وفي معاداة المبتدع درء مفسدة عن الأمة ترجح علىٰ ما عنده من المصلحة المزعومة، إن كانت، ولو أخذنا بهذا المبدأ لم يضلل أحد، ولم يبدع أحد؛ لأنه ما من مبتدع إلا وعنده شيء من الحق، وعنده شيء من

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٣/ ١٥١٣رقم١٩٠٥).

(٢) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٣٦٤) لسليمان أبا الخيل.

الالتزام»[١].

الخامس: أين القبول المزعوم، وأهل العلم والإيمان يردون عليهم، ويبينون أخطاءهم ومنهجهم الفاسد، ويحذرون منهم بما ظهر لهم من سوء قولهم؟

كما قال عمر بن الخَطَّابِ ﷺ: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤخَذُونَ بِالوَحيِ في عَهدِ رسول اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحيَ قد انقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأخُذُكُم الآنَ بِمَا ظَهَرَ لنا من أَعمَالِكُم؛ فَمَن أَظهَرَ لنا خَيرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبنَاهُ وَلَيسَ إِلَينَا من سَرِيرَتِهِ شَيءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ في سَرِيرَتِهِ، وَمَن أَظهَرَ لنا سُوءًا لم نَأمَنهُ ولم نُصَدِّقهُ وَإِن قال إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»[٢].

ثم إن العبرة بقول أهل العلم لا كل أحد.

قال الذهبي: «إنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوىٰ والجهل، المتصفين بالورع والعلم»[٣].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «العلماء الراسخون الذين يؤخذ بقولهم، لا علماء الضلال ولا المتعالمين، ولا الجهال»[٤].

---

(١) ظاهرة التبديع والتفسيق (٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٩٣٤رقم٢٤٩٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٥).

(٤) التعليقات التوضيحية علىٰ مقدمة الفتوىٰ الحموية (٣١).

شبهة: المسلمون جميعًا مأمورون بتبليغ الدعوة للناس؛ لقوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[(١)]:

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن الرسول ﷺ أمر جميع الأمة أن يقوموا بتبليغ الناس الدين، ولو بقراءة آية عليهم.

وهذه الشبهة كلمة حق أريد بها باطل، وذلك لما يلي:

الأول: فرق بين تبليغ الحق من آية أو حديث أو علم سمعه من أهل العلم، وبين التكلم في دين الله بلا علم، كما هو حال كثير من الجهال وأهل الأهواء الضلال.

قال الشيخ صالح الفوزان: «هناك أمور ظاهرة بإمكان العامي أن يدعو إليها، مثل إقامة الصلاة، والنهي عن تركها مع الجماعة، والقيام علىٰ أهل البيت، وأمر الأولاد بالصلاة، هذه الأمور ظاهرة يعرفها العامي ويعرفها المتعلم، لكن الأمور التي تحتاج إلىٰ فقه، وتحتاج إلىٰ علم أمور الحلال والحرام وأمور التوحيد والشرك، هذه لابد فيها من العلم»[(٢)].

الثاني: أن العبرة في الدعوة أن يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة.

قال الشيخ ابن عثيمين: «لابد أن يكون عند الإنسان بصيرة بما يدعو إليه، وليس بلازم أن يكون بحرًا في العلم، نفرض أنه صار عنده علم في مسألة

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٢٧٥ رقم ٣٢٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) الأجوبة المفيدة (١٣٧).

وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (١/ ١٣٢-١٣٥) للفوزان.

الصلاة فجعل يدعو الناس إلىٰ إتقان الصلاة وإحسانها وأدائها علىٰ حسب ما جاء في السنة، لا بأس أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ بهذا العلم»(١).

الثالث: لا مانع أن يبلغ المسلم ما تعلمه ويعلمه من الخير، لكن لا يعني هذا أن يجعل نفسه مفتيًا وعالمًا يفيد الناس إلا إن كان أهلًا لذلك.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإنسان مأمور أن يبلغ ما علمه من شريعة الله، ولو كان قليلًا، ولكن يجب أن يحذر من أن يجعل نفسه مفتيًا كبيرًا؛ لأن بعض الناس إذا تكلم بموعظة ثم قام الحاضرون يسألونه صار يفتي بما هو صواب ما هو خطأ، وتقول له نفسه: إنك إذا قلت: لا أدري؛ نزلت مرتبتك عند الناس، وهذا والله خطأ، إن الإنسان إذا قال فيما لا يدري عنه: أنا لا أدري، فإن منزلته عند الناس ترتفع، كما أن منزلته عند الله ترتفع»(٢).

* * *

شبهة: كتب المتقدمين جافة: نصوص وأحكام، وهي صماء لا تفيد شيئًا، لاسيما وأنها لا تصلح لهذا الزمان الذي كثرت فيه المعاصي، ويحتاج إلى الرقائق وغيرها أكثر من كتب العقيدة والفقه:

ومعنىٰ هذه الشبهة: أن كتب السلف في العقائد والأحكام والسنن مملوءة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وبأقوال السلف، وليس فيها ما يحتاج

(١) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٢٦٦) لسليمان أبا الخيل.

(٢) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٣٠٤) لسليمان أبا الخيل.

إليه الناس في هذا العصر، أو ما يحل مشاكلهم، بخلاف الكتب العصرية الفكرية فهي التي يحتاج إليها شباب الصحوة.

وهذا شبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن هذا الكلام كلام رديء يشبه كلام أهل الزندقة والنفاق، وإذا اعتقده قائله فقد يكفر.

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن هذا الكلام فأجاب سماحته: «هذا غلط عظيم... كتب العقيدة الصحيح أنها ليست جفاءً، قال الله، قال الرسول، فإذا كان يصف القرآن والسنة بأنها جفاء؛ فهذا رِدَّة عن الإسلام، هذه عبارة سقيمة خبيثة»[(١)].

الثاني: أن كتب السلف بشهادة أهل العلم والإيمان، تفيد العلم النافع، وتقوي الإيمان.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين السؤال التالي: ما نصيحتكم لبعض الشباب الذين يوجهون الشباب إلىٰ قراءة كتب المتأخرين ويتركون كتب المتقدمين ويصفونها بأنها صماء لا تفيد شيئًا، لاسيما وأنها لا تصلح لهذا الزمان الذي كثرت فيه المعاصي، ويحتاج إلىٰ الرقائق وغيرها أكثر من كتب العقيدة والفقه؟

فأجاب: «أنا أخبركم عن نفسي: وجدت الخير كل الخير في كلام من سلف، تجد العلماء السابقين يتكلم أحدهم بنحو سطرين أو ثلاثة تحصل

---

(١) نقله الأستاذ جمال الحارثي في حاشيته علىٰ الأجوبة المفيدة (٨٦).

منها علىٰ خير كثير.

بينما المتأخرون تقرأ الصفحة والصفحتين لا تحصل علىٰ شيء، فهو كالإسفنج لا يثبت أمام الحقائق، وغالبها كلام طويل لا تستفيد منها إلا فائدة قليلة، وإن كانت لا تخلو من معالجة الأمور المستجدة وما يحصل في العصر الحاضر، مع العلم أن ما يحصل في العصر الحاضر إذا وفق الله الإنسان إلىٰ فهم قوي؛ أمكنه أن يأخذ معالجته وبيان ما يتعلق به من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح»[1].

الثالث: أن هذه المقولة المقصود منها صدُّ الشباب عن العلم الشرعي الصحيح، وعن العلماء السلفيين، وتربيتهم علىٰ المناهج الحزبية التضليلية الفاسدة.

وقد سئل الشيخ صالح الفوزان السؤال التالي: قرأت كتابًا اسمه: «**منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله**» لمؤلفه محمد سرور بن نايف زين العابدين، قال فيه: «نظرتُ في كتب العقيدة فرأيت أنها كُتبت في غير عصرنا، وكانت حلولًا لقضايا ومشكلات العصر الذي كُتبت فيه، ولعصرنا مشكلاته التي تحتاج إلىٰ حلول جديدة، ومن ثَمَّ فأسلوب كتب العقيدة فيه كثير من الجفاف؛ لأنه نصوص وأحكام، ولهذا أعرض معظم الشباب عنها، وزهدوا بها».

فما هو تعليق فضيلتكم علىٰ هذا الكلام؟

فأجاب: «هناك أناس يُزَهِّدون في تدريس العقيدة ويُزَهِّدون في كتب

---

(١) وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (١٥٠) لسليمان أبا الخيل.

السلف، ويُزَهِّدون في مؤلفات أئمة الإسلام، ويريدون أن يصرفوا الناس إلىٰ مؤلفاتهم هم وأمثالهم من الجهال، ومن دعاة الضلال.

هذا القائل من دعاة الضلال؛ نسأل الله العافية؛ فيجب أن نَحذَر من كتابه هذا، وأن نُحذِّر منه»(١).

الرابع: أن دلالة الشباب علىٰ الكتب الفكرية خيانة، ودلالتهم علىٰ الكتب السلفية نصيحة وديانة.

قال الفضيل بن عياض: «من أتاه رجل فشاوره فدله علىٰ مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول علىٰ صاحب البدع؛ فإنهم يصدون عن الحق»(٢).

وسئل الشيخ محمد بن عثيمين: ما هو قول سماحتكم في رجل ينصح الشباب السني بقراءة كتب سيد قطب ويخص منها: (في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق) و(لماذا أعدموني) دون أن ينبه علىٰ الأخطاء والضلالات الموجودة في هذه الكتب؟

فأجاب:

«أنا أرىٰ -بارك الله فيك- أن من كان ناصحًا لله ولرسوله وللمسلمين أن يحث الناس علىٰ قراءة كتب الأقدمين في التفسير وغير التفسير فهي أبرك وأنفع وأحسن من كتب المتأخرين.

وأما تفسير سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ ففيه طوام، لكن نرجو الله أن يعفو عنه،

---

(١) الأجوبة المفيدة (٧٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٧ رقم٢٦١).

فيه طوام، كتفسيره الاستواء وكتفسير سورة قل هو الله أحد، وكذلك وصف بعض الرسل بما لا ينبغي أن يصفه به»[1].

❊ ❊ ❊

(١) الانتقادات العلية (٤٠) لأحمد بن عمر وأحمد بن يحيىٰ الزهراني.

الخاتمة:
أهم المقاصد التي اشتملت عليها الرسالة

أحمد الله ربي ﷻ، وأشكره ﷻ على إنعامه عليّ بنعم لا تعد ولا تحصى، ومن نعمه عليّ: إعانته لي بإتمام هذه الرسالة، وهذا من فضل ربي سبحانه من ربٍّ كريم.

وَفِي نهايةِ هذا البحث أسجل أهم النقاط الرئيسة فيه:

* أهمية وخطورة طلب العلم من أهله، وخطورة أخذه من غير أهله.
* إمامة محمد بن سيرين، وفقهه في الدين، وعظم منزلته العلمية عند أهل العلم.
* أن مقولة: «**إن هذا العلم دين**» جاءت مرفوعة وموقوفة ومقطوعة، والثابت منها بعض ما جاء عن التابعين، ولم تصح بهذا اللفظ مرفوعة، ولا موقوفة.
* أن هذه المقولة لها ما يدل عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف من الصحابة فمن بعدهم -رضوان الله عليهم-.
* أن هذه المقولة من جوامع الكلم؛ لتضمنها كثيرًا من المعاني والحكم.
* أن المقصود من العلم: التقرب به إلى الله، وأن يعمل العبد على بصيرة.

* حرمة الكلام في مسائل العلم إلا بالحجة والبرهان.

* تحريم القول علىٰ الله بلا علم، ووجوب قول: لا أعلم. لمن لا يعلم.

* وجوب الاختيار والانتقاء للمشايخ الذين يتلقىٰ عنهم العلم.

* أهمية التمييز بين المتصدرين للعلم.

* أن العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم، هم العلماء بالكتاب والسنة علىٰ هدي سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان.

* **أن الذين لا يؤخذ منهم العلم، يعود سبب عدم الأخذ عنهم إلىٰ:**

١ - الجهل بالعلم الشرعي.

٢ - الابتداع في الدين.

٣ - الفسق والمعصية.

* يستوي في تحريم أخذ العلم منهم جميع أنواع وصور التلقي من حضور، أو سماع، أو قراءة، أو صحبة، أو مخالطة.

* أن أهل الأهواء والبدع والجهال أثاروا شبهًا ولبسوا علىٰ العوام في دينهم، وهذه عادتهم إلا أنه شبههم منقوضة، مردودة عليهم.

وهذا آخر ما أردت بيانه وتدوينه، والحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين.

* * *

كشاف الموضوعات

❊ ❊ ❊